جامعة الأزهر
Al–Azhar University

إخوان الصفا وآراؤهم الفلسفية
دراسة وتحليل

إعداد

د/ غادة رمضان امبابي رمضان

الأستاذ المساعد في قسم العقيدة والفلسفة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج، جامعة الأزهر الشريف، سوهاج مصر.

العام الجامعي: ١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

إخوان الصفا وآراؤهم الفلسفية دراسة وتحليل

غادة رمضان امبابي رمضان
قسم العقيدة والفلسفة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج، جامعة الأزهر الشريف، سوهاج مصر.
البريد الالكتروني: ghadaramadan.79@Azhar.edu.eg

ملخص البحث: ظهرت جماعة إخوان الصفا كفرقة فلسفية حاولت البحث والنظر والتعمق في كل شيء، ومن هنا جاءت رسائلهم موسوعة علمية شملت الفلسفة في الإلهيات والأدب والرياضيات وشتى العلوم والمعارف، وقد سلكوا في رسائلهم مسلكا تثقيفيا عالجوا به أغلب معارف عصرهم فبدأوا بالرياضيات؛ لأنهم يعتقدون أنها مدخل ضروري لدراسة علوم الحكمة وأنها عنصر أساسي لتقويم العقل، ثم يتبعون بعد ذلك دراسة النفسانيات العقلانية تأديا إلى الناموسيات الإلهية وهي أسماء المعارف والغاية القصوى للمعرفة، ويرى إخوان الصفاء أن الباعث الأول الذي دعاهم إلى التآلف والعمل هو أن الشريعة دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة ، ولقد تعرض إخوان الصفا في فلسفتهم إلى قضية الوجود فكانت لهم فلسفة خاصه بالوجود والطبيعة ونظرية المعرفة وغيرها كما كانت لهم فلسفة خاصة بالإنسان باعتباره عالما صغيرا ولقد تحدث إخوان الصفا عن الإله وعن تصورهم للإله حيث أنهم يقرون بوجود إله أوجد العالم ويرعاه وأنه مصدر كل خير، وهو منزه عن الحركة والتغير والنقائص، كما أن إخوان الصفا يرون أن الأنبياء لم يبعثوا لإصلاح الدنيا وحدها، بل إصلاح الدين معها وأسمى هدف يسعى إليه الأنبياء هو تخليص النفوس من عالم الفساد لتصير من الشقاء إلى النجاة.

الكلمات المفتاحية: إخوان الصفا، رسائل الغاية، مصادر الوجود، الألوهية، النبوة.

The Brethren of Purity and Their Philosophical Views: A Study and Analysis

Ghada Ramadan Embaby Ramadan.
Department of Creed and Philosophy, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls in Sohag, Al-Azhar University, Sohag, Egypt.
Email: ghadaramadan.79@Azhar.edu.eg

Abstract: The Brethren of Purity emerged as a philosophical group that sought inquiry and deep reflection on all aspects of existence. Their Epistles thus became an encyclopedic work encompassing philosophy in theology, literature, mathematics, and various sciences and fields of knowledge. In these epistles, they adopted an educational approach through which they addressed most of the intellectual disciplines of their time. They began with mathematics, believing it to be an essential gateway to the study of philosophical wisdom and a fundamental component for refining the intellect. This was followed by the study of rational psychology, which ultimately leads to divine laws—the culmination of knowledge and its highest purpose. The Brethren of Purity believed that their primary motivation for unity and collaborative effort was the corruption of religious law through ignorance and the intermingling of truth with falsehood, and that the only way to cleanse and purify it was through philosophy. Their philosophical discourse addressed the question of existence, in which they developed their own perspectives on being, nature, epistemology, and more. They also formulated a distinctive philosophical view of the human being, whom they considered a microcosm. Moreover, the Brethren

articulated a conception of God, acknowledging the existence of a deity who created and sustains the world and is the source of all goodness. They maintained that God is transcendent—free from movement, change, and imperfection. According to the Brethren, prophets were not sent merely to reform worldly affairs, but also to reform religion. The ultimate aim of prophecy, in their view, is to liberate souls from the realm of corruption, guiding them from suffering to salvation.

Keywords: Brethren of Purity, Epistles of Purpose, Sources of Existence, Divinity, Prophethood.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد الصادق الأمين، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وبعد.

فمن المعلوم أن الله عز وجل كرم الإنسان وعلمه البيان، وأعطاه العقل وميزه به على كثير من خلقه، ولقد استخدمه كثير من الفرق الكلامية والفلسفية، وكان من بينها جماعة إخوان الصفا، كيف لا والفلسفة بصفة عامة ليست إلا التفكير العقلى المتعمق المتزن الذي يرشد الإنسان إلى الطريق الأقوم فى السلوك ، وهذا من أفضل نعم الله تعالى على الإنسان حيث يرتفع رتبة فوق الحيوان والنبات والجماد، وكانت الفلسفة وما زالت إحدى الدلائل العظمى على رقى أي مجتمع يتحلى بها.

من هنا حاولت جماعة إخوان الصفا البحث والنظر والتعمق في كل شيء، فجاءت رسائلهم مدرسة فكرية أو موسوعة علمية تمثل المعارف والفلسفة والأدب والطبيعة والرياضيات وشتى العلوم والمعارف، الأمر الذي جعل أحد الباحثين يصف الرسائل بقوله: عندما نتطرق إلى الحديث عنها لا نستطيع إلا القول بأنها لغز مبهم في التاريخ الإسلامي صعب حله وسر من أسرار الفلسفة العربية عسر فهمه، وكنز فكرى ثمين أغلقت الأبواب دونه وتضاربت الأقوال في أهدافه ومراميه، كما تشعبت الآراء حوله فأصبح مثاراً للجدل وللتخمين لدى العلماء والباحثين، وهدفا للاستنتاج العقلى الذي قلما يؤدى إلى نتيجة أو يميط اللثام عن الحقيقة.

أجل؛ إن دراسة إخوان الصفا وخلان الوفا لم يكن يوما من الأيام من الأمور السهلة فى تاريخنا العربي ، فهذا الموضوع ظل الشغل الشاغل لفريق

كثير من الباحثين والمستشرقين والعلماء منذ بدء عهد النهضة العلمية الحديثة، فهؤلاء وبعد جهود كبيرة خرجوا بنتائج تؤكد بأن رسائلهم الإثنى وخمسين وجامعتهم هي أغزر مادة فلسفية وأقوم موسوعة فكرية عربية وأثمن تحفة علمية حافلة بالبديع والحكمة والفنون والإيجاز من إلهيات وفلك وحساب، وهندسة، وكيمياء، وطب، ورياضيات، وتربية، وشعر، وقصة فهذه الرسائل عندما ظهرت إلى عالم الوجود وتداولتها الأيدى أجمع الناس على مختلف عقائدهم وجنسياتهم بأنها تمثل الرقي الفعلي والتطور الفكرى وأنها من أقدم المصادر العربية، بل الأساس الذي قامت عليه الفلسفات فيما بعد.

وسوف أحاول في هذا البحث المتواضع أن ألقى الضوء على هذه الجماعة وأهدافها وأهم الجوانب الفلسفية عندهم، وذلك من خلال رسائلهم تلك الموسوعة التي حملت ذلك الاسم والتي حوت شتى الفنون وغرائب الحكم وطرائف الأدب، فهي بستان تعددت أزهاره و تنوعت ثماره و لكن قبل الخوض في الحديث عن الجوانب الفلسفية عند إخوان الصفا يجدر بنا أن نتعرف أولا على هذه الجماعة : كيف نشأت ؟ وفي أي زمن كانت وإلى أي مذهب تنتمي ؟ حتى يكون القارئ على بينة ودراية لما يقرأ فنقول وبالله التوفيق ومنه العون والرشاد.

هذا وقد دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع عدة أسباب نذكرها فيما يلي:-

١- رأيت أن أسهم بقلمي عن هذه الجماعة وإظهار جوانبهم الفلسفية.

٢- بيان الغاية من وضع هذه الرسائل وبيان حقيقتها الظاهرة والباطنة.

٣- فهم الفكر الفلسفي الذي ساد في هذا العصر خاصة المزج بين الفلسفة اليونانية مثل أفلاطون وارسطو والتعاليم الدينية.

٤- التعرف على المنهج العلمي حيث ان رسائل اخوان الصفا تظهر المنهج

العلمي الذي اتبعه العلماء المسلمون في ذلك العصر، والذي كان يعتمد على الملاحظة والتجربة والاستنتاج .

٥- فهم التأثيرات الثقافية حيث أن رسائل إخوان الصفا تساعد على فهم التأثيرات الثقافية والعلمية التي أثرت على الحضارة الإسلامية في ذلك العصر.

المنهج المتبع في هذا البحث:-

بعد تتبع مناهج البحث المصطلح عليها في مثل هذه الموضوعات رأيت من المناسب للمنهج الذي يجب اتباعه لهذا البحث مناهج متعددة الأجزاء تتمثل فيما يلي:-

١- **المنهج التاريخي** الذي يقوم على الكتابة والتعرض لجماعة إخوان الصفا وجذورها منذ أن ظهرت إلى يومنا هذا .

٢- **المنهج التحليلي:** واتبعت فيه تحليل القضايا الفلسفية ومناقشتها وأسبابها والوقوف على ما جاء فيها من فكر مقبول أو مردود .

٣- **المنهج الاستنباطي:** والذي اعتمدت فيه على استنباط النتائج من المقدمات.

مكونات الدراسة:

اقتضت طبيعة البحث أن تشتمل على مقدمه وخمسة مباحث وخاتمة.

المقدمة: تناولت فيها أسباب اختياري لموضوع البحث ومنهجي في البحث والخطة التي سار عليها البحث.

المبحث الأول: تحدثت فيه عن التعريف بإخوان الصفا نشأتهم وغايتهم ومصادرهم .

المبحث الثاني: فلسفتهم في الكون والطبيعة .

المبحث الثالث: فلسفتهم في الألوهية

المبحث الرابع: فلسفتهم في النبوة .

المبحث الخامس: التوفيق بين الدين والفلسفة.

الخاتمة: تضمنت أهم النتائج المستخلصة من البحث.

والله تعالى أسأل أن يجعل عملي هذا متقبلا وخالصا لوجهه الكريم، وأن يعم به النفع في الدنيا والآخرة، وأن يجعل هذا في ميزان حسنات كاتبه ومحكمه وقارئه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، والله من وراء القصد، وهو حسبنا وولينا إنه نعم المولى ونعم النصير .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول

إخوان الصفا نشأتهم وغايتهم ومصادرهم

وفيه مطالب:

المطلب الأول

التعريف بإخوان الصفا

من هم إخوان الصفا؟

للإجابة على هذا السؤال نقول: إن هؤلاء الجماعة قد لفهم الغموض من كل جانب وأحاطتهم السرية مما جعل الباحثين يختلفون في تحديد هويتهم فهم يرون أنهم الصفوة المختارة في الأخوة والصحبة التي يريدونها ومن ثم فهم يأخذون عمل الخير ونبذ الشر والألفة في صحبة الإخوان على أنها فضائل منحت للعقل ، فهم يعلنون كما تشير رسائلهم في زعم باطل وضلال خفي أنهم إخوان الصفا وخلان الوفا وأهل العدل وأبناء الحمد. " (١)

من خلال هذا النص الذي تشير إليه رسائلهم يتضح لنا أنهم أطلقوا على أنفسهم هذه التسمية (إخوان الصفا) ولعله

إطلاق هذه التسمية على أنفسهم يهدف إلى أمر خفى ، فهم يرتدون ثوب الفضيلة ليستترون خلفه فيقولون:

اعلم يا أخي أن حقيقة هذا الاسم أي إخوان الصفا هي الخاصة الموجودة في المستحقين له بالحقيقة لا على طريق المجاز، وأنه لا سبيل إلى صفاء النفس إلا بعد بلوغها حد الطمأنينة في الدين والدنيا جميعاً ومن لا يكون كذلك فليس من أهل الصفاء(٢)) لكن هذه المبادئ الظاهرة التي يعلنونها هل نجد لها وجودا عندهم ؟ الحقيقة أن هذه المبادئ المعلنة من

---

(١) رسائل إخوان الصفا ج ١ ص ٢١ وما بعدها ط ١ بيروت ١٩٥٧ م .

(٢) انظر: الرسائل ج ٤ ص ٤١٣ .

قبل نصوصهم تخالف باطنهم أخذاً بمبدأ التقية[١] وسوف نوضح ذلك عند حديثنا عن نشأة هذه الطائفة أطلقت الجماعة على نفسها إذن اسم إخوان الصفا وخلان الوفاء وأهل العدل وأبناء الحمد كما تشير إلى ذلك رسائلهم، وهذا يتطلب منا أن نتعرف على حقيقة هذه التسمية.

أولا: معنى الإخوان.

الأخ ومؤنثه أخت هو المشارك الآخر فى الولادة من الأبوين – الأخوة الأشقاء – أو من أحدهما ويطلق على المشارك في الرضاع كما يطلق على كل مشارك فى القبيلة أو في الدين أو في صنعة أو في معاملة أو في مودة وما شابه ذلك[٢] .

وفكرة الأخوة فى الدين الإسلامى فلها أساسها المستمد من آيات القرآن الكريم وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [٣] .

ويعتبر أفلاطون هو المبتكر لفكرة الأخوة العلمية فقد عالج هذه الفكرة من خلال معالجته الموضوع الحب في محاورة لا تحمل هذا العنوان بل تحمل عنوان المأدبة وإذا كان أفلاطون قد تكلم عن الحب أيضاً في محاورة فيدروس، إلا أن المأدبة هي المحاورة الرئيسية في هذا الصدد واختيار المأدبة عنواناً لهذه المحاورة له دلالته فالمأدبة اجتماع بين طائفة من المفكرين يتناولون فيه الطعام ويرتشفون كؤوس الشراب ويتبادلون الرأي ويتحاورون فيما بينهم ويديرون أطراف الحديث، وليس الفرض من الطعام

(١) التقية معناها: أن يظهر الإنسان خلاف ما يبطن إن خاف على نفسه وأهله الهلاك، وهي مبدأ أساسي من المبادئ التي قامت عليها دعوة الإسماعيلية.

(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم مادة أخو ص ٣٠ ط الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة .

(٣) سورة الحجرات آية ١٠

والشراب إلا أن يكون مناسبة للاجتماع والحوار ، وعن طريق الحوار تتعلق النفس بنفس أخرى.

وقد درجت مدرسة أفلاطون على هذا الضرب من الأخوة العلمية والمآدب الفلسفية، وأصبح سنة تتبعها المدارس فيما بعد، ووضعت للمآدب قواعد يلتزم بها الطلبة في طعامهم وشرابهم وحديثهم والمقصود من المأدبة الاجتماع على المودة والاتصال بالألفة والمحبة، ورغم أن الجماعات الفيثاغورية كانت تتبع نظام الأخوة إلا أنها كانت أدنى إلى أن تكون فرقة دينية منها إلى أن تكون مدرسة علمية ، كذلك كان سقراط يحاور الشباب في الملاعب والبساتين وفى الدور التي يدعو إليها، ورغم ذلك فقد تميز أفلاطون بأنه نفض عن مدرسته غبار السرية ونحا بها نحواً علمياً وانتشلها من الشوارع والأسواق والأماكن العامة وحفظ لها وقارها داخل جدران المدرسة وجعل الآداب من جملة أنظمتها(١) .

إذا كلمة أخوة لها دلالتها من القرآن الكريم، ولها استخدام عند الفلاسفة أمثال أفلاطون وأرسطو والمدرسة الفيثاغورية حيث استعملت للتعبير عن الود والمحبة والألفة كما عرفنا.

كذلك استخدم اللفظ – الأخ – فى حالات لها مغزى سياسي فإذا عدنا إلى التاريخ وجدنا الأمراء والخلفاء في الدولة العباسية قد استخدموا لفظ الأخوة نأخذ على سبيل المثال ما جاء عن الخليفة المهدى لفظ الآخ في الله إشارة إلى يعقوب بن داود وذلك فى المرسوم الذي أصدره عام ١٦٣هـ بتعيين يعقوب وزيراً ولما كانت ميول الأخير– علوية –فقد كان لاستخدام هذا اللقب بالإضافة إلى ما يعكسه من دلائل الشرف والرفعة مدلولات سياسية حيث دل

---

(١) الفلسفة السياسية عند إخوان الصفاد/ محمد فريد حجاب ص ٢٣ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

على سياسة التوفيق الودية التي حاول المهدى اتباعها تجاه أعداء الدولة السياسيين وخاصة العلويين(١) .

وقد لازمت فكرة الإخاء هذه كافة الحركات الثورية في المجتمع الإسلامي، وكان المقصود من فكرة الإخاء في هذه الحركات إزالة الأسباب التى تؤدى إلى انقسام الناس إلى طبقات متعادية متطاحنة والعمل على قتل عوامل العداوة والبغض.

كذلك استخدمت الحركة الإسماعيلية لفظ الإخاء ودافعت عنه بين جميع الناس على اختلاف قومياتهم وطبقاتهم، يقول صاحب كتاب (من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام وإذا انتقلنا إلى الحركة الإسماعيلية نجدها هي الأخرى قد دافعت عن فكرة الإخاء الحقيقي لا بين المسلمين فقط بل بين جميع الناس على اختلاف قومياتهم وأديانهم وطبقاتهم، كما أنها تجاوزت فكرة الإخاء القائمة على وحدة الدين إلى فكرة الإخاء القائمة على مطالب العقل ، وهكذا قاومت الإسماعيلية التعصبية القومية ومن يمعن النظر في العناصر التي تتألف منها أخوية الإسماعيلية يرى هناك الفارسي والعربي والكردي والنبطي والهندي والتركي والبربري .. الخ (٢).

وعلى أية حال فإن من يطالع رسائل إخوان الصفا يلاحظ من أول وهلة وبدون تكلف ومشقة أن هذه الرسائل مليئة بالجمل والعبارات التي تتحدث عن الأخوة إذ لا تخلو أي رسالة من رسائلهم من أمثال هذه العبارة (وأعلم أيها الأخ البار الرحيم) ويعلق إخوان الصفا أنفسهم أهمية عظمى على فكرة الأخوة ويجعلون منها أساساً للصلة والمحبة وعماداً لصلاح البلاد، وذلك بقولهم : الصداقة أسس الأخوة والأخوة أسس المحبة والمحبة أسس إصلاح

---

(١) انظر كتاب العباسيون الأوائل د / فاروق عمر ج ١ ص ٢٧٤ ط بيروت

(٢) من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام – بندلي جوزى ص ١٠٧ ط بيروت .

الأمور وإصلاح الأمور صلاح البلاد[(١)].

وأما عن كلمة صفاء، وهى المكملة لكلمه إخوان الصفا:

فإننا نجد إخوان الصفا أنفسهم قد أشاروا إليها في رسائلهم وهم يعنون بها النقاء والصفاء من شوائب التغيير والاستحالة وأن من عدم هذه الصفة لا يكون من إخوان الصفا فيقولون : واعلم يا أخي أن حقيقه هذا الاسم أي إخوان الصفا – هى الخاصة الموجودة في المستحقين له بالحقيقة لا على طريق المجاز، واعلم يا أخي أيدك الله تعالى أنه لا سبيل إلى صفاء النفس إلا بعد بلوغها إلى حد الطمأنينة في الدين والدنيا جميعاً ومن لا يكون كذلك فليس هو من أهل الصفاء لأنه لو كان من أهل الصفاء لكان له بصفائه عمن دونه الغنى ، واعلم يا أخي أن حقيقة الصفاء أيضاً هي أن لا يغيب عن النفس الصافية الزكية شيء من الأشياء التي بها الحاجه إليها ... وبالصفاء تتهيأ لها الراحة .. ونريد أن نأتى بفصل تذكر فيه شيئاً من ذلك مما رمزت به الحكماء وأشارت إليه العلماء وتتدبره بنفسك الطاهرة وأنوارك الظاهرة وروحك المضيئة الصافية من نجاسة المعصية، وعند ذلك تكمل تلك الصورة الصافية فتصير كالمرآة الصقيلة التي تتراءى في جوهرها الصور الصامتة لها بما هى بها .. بلغك الله وإيانا إلى غاية الصفاء[(٢)].

وأما عن كلمة الوفاء، المكملة لاسم هذه الجماعة فيوضحها لنا صاحب كتاب (دائرة المعارف الإسلامية) فيقول: "أما الوفاء فهو ضد الغدر والوفي هو الذي يعطى الحق ويأخذ الحق كما أنها تعنى الخلق الشريف العالي فلا شك إذا أنها وثيقة الصلة بالصفاء"[(٣)].

---

(١) انظر الرسائل ج ٢ ص ٣٢٨

(٢) انظر الرسائل ح ٤ ص١١٢ وما بعدها

(٣) دائرة المعارف الإسلامية – المجلد الخامس عشر مادة وفى، ص ٤٠٠ وما بعدها.

إذا فإخوان الصفا يذكرون صراحة أن اسمهم مأخوذ من صفوة الأخوة وهم بذلك يمنحون لأنفسهم ألقابا يدل ظاهرها على أنهم الصفوة المختارة.

وهنا نتساءل من أين جاء إخوان الصفا بهذه التسمية ؟ وما سندهم ؟

وللإجابة عن هذا التساؤل نقول:

لم يستطع الباحثون الوقوف على المصدر الذي استوحت منه الجماعة اسمها و اخوان الصفاء على وجه التحديد ويمكن أن تحصر أهم الاجتهادات في هذا الصدد على النحو التالي:

١ – يميل البعض إلى الاعتقاد بأن الاسم مقتبس مما ورد في كتاب كليلة ودمنة عن الحمامة المطوقة وكيف نجت من الشبكة بمعاونة إخوان لها نصحاء . هذا فضلا عن أن بعض ما ضربه صاحب كليلة ودمنة من الأمثال ينطبق على ما جاء في الرسائل من إشارات واضحة إلى تعاون الأصدقاء الرحماء وإلى ما يحل بهم من تفريق الجمع وتشتيت الشمل بفعل من يدبر لهم الحيلة ويضمر لهم العداوة والخديعة[١].

ويميل بعض المستشرقين أمثال دى بور وجولد تسيهر وغيرهما إلى تأييد هذا الرأى فيرون أنه فضلا عن اشتمال كليلة ودمنة على كلمة اخوان الصفا فقد احتوت ايضا على ما اشترطته جماعة الإخوان في الصداقة من الغيرية والتضحية وأن الغاية الكبرى للإخوان هي العمل على خلاص النفس بالتعاون والصفاء والعلم المطهر[٢] .

٢ - ويرى فريق آخر من الباحثين بأن كلمة والصفاء، تعنى الصفا في المودة أو أنها مقتبسة من الصوفية التي كانت تدعو إلى صفاء القلب ولكن

---

(١) اخوان الصفا د جميل صليبا ص ٤٥٤ دائرة المعارف

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ص ٤٥٢ وانظر كتاب: الفلسفة السياسية عند اخوان الصفا ص٢٩

يلاحظ أن الباحثين اختلفوا حول مصدر اشتقاق مصطلح الصوفية في حد ذاته فمنهم من يذهب إلى أنه منسوب إلى مسجد الرسول " صفة " ومنهم من ذهب إلى أنه مشتق من الصفاء بمعنى الطهارة والعفة ومنهم من ذهب إلى أنه مشتق من الصوف كما رأى ابن خلدون وأيده في ذلك بعض المستشرقين.

٣- وهناك فريق ثالث يذهب إلى القول بوجود علاقة بين كلمه اخوان الصفا و بين كلمة فيلسوف ، فيقابلون بين كلمة أخ وبين " فيلو" ويقابلون بين كلمة "صفا " وبين " سوف " هذا بالإضافة إلى أن كلمة" سوف " تشبه إلى حد كبير كلمة، سوفيس، في اللغة اليونانية والتي تعنى النقاء أو الصفاء[١] .

وأميل إلى ترجيح اشتقاق اسم اخوان الصفا من معنى كلمه صفاء لغة واصطلاحا حيث إن كلمة الصفاء مشتقاتها لا يخرج معناها عموما عن الخلوص من الشوب، وقد شاع استخدام مصطلح الصفاء ومشتقاته لدى رجال علم الكلام والصوفية في إفادة نفس المعنى.

فيذكر الإمام الغزالي المصطلح في كثير من عباراته مثل تزكية النفس وتهذيب الأخلاق وتصفية القلب حرصا على الخلوة وتصفية القلب للذكر ومثل تشوش صفوة الخلوة [٢] .

---

(١) الفلسفة السياسية عند اخوان الصفا ص ٢٩

(٢) المنقذ من الضلال للإمام الغزالي ص ٧٣ وما بعدها

المطلب الثاني

زمانهم ومكانهم

اختلف الذين تعرضوا لدراسة اخوان الصفا في تحديد الزمان والمكان اللذين نشأت فيهما هذه الجماعة فالبعض يرى أنها نشأت في نهاية القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجرى بسلمية في سوريا، والبعض الآخر يرى أنها نشأت في النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى بالبصرة، وسوف نعرض الرأيين بشيء من التوضيح ثم نبين المختار منهما.

أصحاب الاتجاه الأول:

نرى أصحاب هذا الاتجاه ينفون وجود جماعة متميزة تعبر عنها الرسائل ويقولون إن هذه الرسائل هى مجرد تعبير عن فكر الاسماعيلية الباطنية (وأنها وضعت في سلمية على يد أول الأئمة الاسماعيلية المستورين أو تحت إشرافه وهو أحمد بن عبد الله بن محمد ويستدلون على ذلك بأن أول من ذكر رسائل اخوان الصفا من الإسماعيلية هو أحد دعاتهم المعروف بالحامدي المتوفى سنة ٥٥٧ هـ (١)

وهذا الرأي يمثل موقف علماء الشيعة الإسماعيلية تجاه هذه الرسائل، كما نرى الدكتور/ سامي النشار يقطع بأن الرسائل اسماعيلية في مضمونها ومحتواها، وأنها تتضمن تعاليم الباطنية، وأيا ما كان كاتب هذه الرسائل

فإنها في جملتها تعود إلى عمل أئمة البيت العلوى وفي ذلك نراه يقول: ولاشك أن رسائل اخوان الصفا هي اسماعيلية سواء وضعها الإمام أحمد أم اتباعه، فهي تسودها الاصطلاحات الإسماعيلية وتنتشر فيها الآراء الباطنية بما يتفق دائما مع المذهب الإسماعيلي(٢)

---

(١) اخوان الصفا : مصطفى غالب ص ٢٧ – دار مكتبة الهلال- بيروت ١٩٧٩

(٢) الدكتور/ على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ص ٥٧ دار المعارف سنة ١٩٦٢ الطبعة الثانية.

ويذكر ايضا أحد زعماء الطائفة الاسماعيلية أن سبب تأليف رسائل اخوان الصفا أن عامة المسلمين توجهوا إلى الإمام (وفي أحمد) أحد دعاه الإسماعيلية ليعرفهم الفرق بين الدين والفلسفة فاستجاب لهم وألف رسائل إخوان الصفا في اثنتين وخمسين رسالة واخفى اسمه لأسباب سياسية[١]

ويستند أصحاب هذا الرأى في التدليل على رأيهم كذلك بما يلي:

١ - ما ذكره بعض المؤرخين والباحثين وبعض دعاة الإسماعيلية عن علاقة اخوان الصفا بالحركة الإسماعيلية أمثال كازا نوفا ودي فروميرى وماكدونالد وعبد اللطيف الطيباوي وخاصة الداعين الاسماعيليين اليمنيين إبراهيم بن الحسين الحامدي والشيخ إبراهيم السيفي[٢].

ومع ذلك يمكن القول بأنه إذا كانت أبحاث هؤلاء الأخيرين ومخطوطاتهم التي يرجع عهدها لما بعد عصر إخوان الصفا بعدة قرون.

تفيد في إثبات مدى الاتفاق بين تعاليم الاسماعيلية وما ورد في رسائل الإخوان إلا أنها لا ترشدنا إلى العصر الذي ظهرت فيه الجماعة.

٢ - ومنها ما جاء في بعض المخطوطات الاسماعيلية الحديثة من أن الرسائل وضعت بمعرفة أحد أئمة الاسماعيلية المستورين أو بعض دعاته وذلك في عهد الخليفة المأمون ١٩٧ – ٢١٨ هـ.

ويبدو من بعض ما ورد في هذه المخطوطات عدم إمكان الارتكاز عليها تدليل على ظهور جماعة إخوان الصفا في عهد الخليفة المأمون فعلى سبيل المثال ذكر الداعى " إدريس عماد الدين" أن الإمام الإسماعيلي أمر أن تبث الرسائل في المساجد وحين وقع عليها الناس رفعت للمأمون.

---

(١) إخوان الصفا: عمر الدسوقى ص ٦٣ – دار النهضة القاهرة ١٩٧٣م

(٢) حقيقة اخوان الصفا وخلان الوفا عارف تامر ص ١٦

كما ذكر الداعى "شرف الدين بن حمزة " أن دعاة الإمام المستتر صاحب الرسائل كانوا يفرقون هذه الرسائل فى كل قطر وفي كل مكان(١).

وهذه الأقوال وما شاكلها تعنى أن الرسائل كانت قد زاعت وانتشرت واشتهرت بين الناس، ولو صح ذلك لكان قد ورد ذكرها بداهة في كتب المؤرخين وكتاب الفرق الإسلامية.

أما أصحاب الاتجاه الثاني:

فهؤلاء يرون أن هذه الجماعة قد نشأت في منتصف القرن الرابع الهجرى بالبصرة، حيث كان الجو السياسي السائد يموج بالفساد وانتشار الرشوة وضعف الخلافة واستبداد ذوي النفوس الضعيفة، وحيث فشلت الثورات في الوصول إلى الإصلاح عن طريق العنف الثوري فوجدت الدعاوى السرية أرضا خصبة للممارسة مما أدى إلى قيام هذه الجماعة في تلك الفترة.

يرى هذا الرأى الدكتور/ غلاب حيث يحدد نشأة إخوان الصفا بثلاثين سنة مضت بعد وفاة الفارابي تقريبا ومن المعروف أن الفارابي توفى عام ٣٣٩ هـــ وفي ذلك نراه يقول: "لم يكد يمضي على موت الفارابي ثلاثون سنة حتى هبت جماعة من صفوة علماء الحضر وخاصة حكمائه الذين أحاطوا بنظريات الأقدمين من فلاسفة الإغريق والهند وفارس وقتلوها بحثا وهضموا براهينها وافتراضاتها ونجحوا في اكتناء خفاياها وأسرارها واستنبطوا منها أراء خاصة أقل ما تدل عليه عندهم هو النضوج الفائق في النظرة والفكر وغزارة العلم وسعة الاطلاع ووفرة الثقافة في جميع جوانب المعارف البشرية التي وصل إليها العالم القديم إلى عصرهم ... ولما كانت

---

(١) حقيقة اخوان الصفا وخلان الوفا عارف تامر ص ١٨ وما بعدها .

أساس تكونهم (إخوان الصفا وخلان الوفا[١]).

ولم يكن فقط الدكتور مصطفى غالب هو الذي اتجه هذا الاداء وحده بل هناك الكثير من الباحثين نحا نحوه فها هودى بورفي دائرة المعارف يذكر تحت عنوان إخوان الصفا. أن الجماعة قد نشأت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجرى [٢].

وقد استند أصحاب هذا الاتجاه إلى براهين وحجج متعددة يمكن حصرها فيما يلى:

١- الصراعات والتزامات الاجتماعية والسياسية والدينية بسبب تعدد الأديان والمذاهب الدينية والجنسية أو العرقية في الخلافة العباسية خصوصا في القرن الرابع الهجرى، فأراد إخوان الصفا أن يذيبوا جميع تلك الخلافات في مذهب واحد شامل مبنى على أسس ومبادى، مستوحاة من كافة الأديان والمذاهب والنحل، خصوصاً وأن الدين كان ولم يزل من أشد الأساليب أثراً في تحريك المشاعر والعواطف وبالتالي في تأليف الأحزاب والجمعيات الأهداف سياسية حيث لم تكن ثمة انفصال بين الدين والسياسة وكانت الحركات والمذاهب السياسية تتخذ الدين تقية حتى أصبحت في مجموعها ذات طابع ديني يصعب التخلص منه[٣].. "فلا غرابة أن يستغل الإخوان هذه الظاهرة وأن يربوا هذه الوسيلة الأشد فتكا بالخصوم والأقرب إلى نيل الغايات" [٤].

---

(١) (الدكتور / مصطفى غالب / إخوان الصفا ص ٢٩ - دار مكتبة الهلال بيروت ١٩٧٩ م .

(٢) انظر دائرة المعارف الإسلامية دي بور المجلد الخامس عشر ص ٤١٣ .

(٣) تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون د/ عمر فروخ ص ٢٩٣ ط بيروت .

(٤) الجانب الإلهي من التفكير الاسلامي د / محمد البهي ص ٢٩٥ .

٢- انتشار الفلسفة اليونانية انتشاراً واسعا في القرن الرابع الهجري وكثرة الفرق الإسلامية من أهل الحديث والمعتزلة والمرجئة والشيعة والخوارج التي حاولت كل منها نشر دعوتها بمختلف الوسائل وخاصة من استعان منها في سبيل ذلك بالفلسفة اليونانية مما ترتب عليه ظهور مذاهب تجمع في آن واحد بين الشريعة الإسلامية والفلسفة اليونانية وفي هذا الإطار ظهرت رسائل إخوان الصفا التي كانت تجمع بين مذهب الشيعة والمعتزلة من جانب، وبين ثمرات الفلسفة اليونانية من جانب آخر[١].

٣- تسامح الدولة البويهية (٣٣٤ - ٣٧٦ هــ) وما أثر عنهم - كشيعة فرس - من تساهل فكرى فى عهد نفوذهم على عكس الحال في عهد سيطرة الأتراك الذين كانوا مؤيدين لمذهب أهل السنة شديدين في قمع أي نشاط فلسفي أو فكر مخالف وليس أدل على ذلك من موقفهم ضد فرقة المعتزلة منذ عهد الخليفة العباسي المتوكل وضد الفلاسفة والمتصوفة من أصحاب الأفكار الحرة أمثال الحلاج وغيره، وبناء عليه يرجح بعض الباحثين أنه من غير المحتمل أن تكون نشأة جماعه إخوان الصفا في مثل هذه العهود الصارمة بل الأرجح هو ظهور أمرها في عهد آل بويه[٢] .

٤- انقسام الدولة العباسية في القرن الرابع المجرى إلى خلافات متصارعة بعد أن عصفت بالخلافة العباسية أيدى الحدثان وتقسمها أمراء وملوك

---

(١) دى بور - تاريخ الفلسفة فى الاسلام ترجمه د / محمد عبد الهادي أبو ريدة ص ١١٣ وما بعدها .

(٢) انظر كتاب أعلام الفلسفة المريه كمال اليازجي وأنطون عطاس كرم ص ٤٨٢ ط بيروت.

ولم يرق للعباسيين إلا بعض نفوذ فيما يطيف ببغداد أو في توزيع الألقاب على أصحاب السلطة الفعلية [١].

٥- الاستناد إلى رواية لأبي حيان التوحيدي التي يستخلص منها أن جمعية إخوان الصفا كانت قد استكملت تنظيمها سنه ٣٧٣ هــ والاستدلال على ذلك من أن الرسائل كانت قد دونت واستنسخت وانتشرت في الأسواق وتداولها أيدي جماعه كبيرة من القراء خلال هذا القرن [٢].

هذه هي الأدلة التي استند إليها أصحاب الاتجاه الثاني ليؤكدوا من خلالها القول بأن جماعه إخوان الصفا نشأت في القرن الرابع الهجري وبالرغم مما تحمله هذه الأدلة من قوة في أسانيدها إلا أنها لا يمكن أن تكون دليلا قاطعاً على أن جماعه إخوان الصفا قد ظهرت في القرن الرابع الهجرى وذلك لعدة أسباب تذكرها فيما يلى- :

١ - أما عن القول بظهور جماعه إخوان الصفا في القرن الرابع المجرى اعتماداً على انتشار الفلسفة اليونانية انتشاراً واسعاً واستناداً على كثرة الفرق الإسلامية التي استعانت بهذه الفلسفة لنشر دعوتها فإنه من الملاحظ أن هاتين الظاهرتين ليستا من السمات الخاصة بالقرن الرابع فحسب بل إن انتشار الفلسفة اليونانية يرجع إلى أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجري كما أن من يمعن النظر في تاريخ القرنين الأول والثاني المجريين يلاحظ كثرة وتعدد الفرق والأحزاب الدينية والسياسية فمنذ أن ظهرت السيائية على مسرح التاريخ الاسلامي والفرق والكتل تتعاقب كل يبث تعاليمه ويجرب حظه فى المعترك الديني والسياسي [٣].

---

(١) إخوان الصفا – جيور عبد النور ص ٧ ط دار المعارف .

(٢) الامتاع والمؤانسة أبو حيان التوحيدي ص ١٦٩ .

(٣) كتاب (العباسيون الأوائل) د/ فاروق عمر ص ٢٩٣ .

وعندما بدأت الحركة العقلية تستغرق العالم الاسلامي في منتصف القرن الثاني الهجرى جعلت الطوائف والفرق والنحل تتبين وتستقل وتكون لها مبادئها وتسندها بالحجج العقلية والمنطقية.

وهكذا كان القرن الثالث الهجرى يموج بألوان شتى من المعارف القديمة والحديثة وذلك بتأثير حركه النقل والترجمة وانتشار الفلسفة اليونانية وغيرها من الفلسفات التي استعانت بها الفرق الاسلامية المختلفة لتدعيم مذاهبها وبناء عليه إذا عولنا على هذه الحجه كدليل على ظهور جماعه إخوان الصفا لأمكن القول أن ظهورهم كان سابقاً على القرن الرابع الهجري (١) .

٢ - وأما الحجة المعتمدة على القول بانقسام الدولة العباسية إلى خلافات متصارعة كعامل التبرير ظهور جماعه إخوان الصفا فهذه الحجه عليهم لا لهم وذلك يلزمهم القول بأن هذه الجماعة ظهرت قبل القرن الرابع الهجرى، يقول ابن النديم: ويذكر لنا التاريخ اقتطاع بعض أجزاء من الدولة العباسية وظهور أنظمه حكم مناوئة لهذه الدولة أو مستقلة – سياستها وذلك خلال القرنين الثاني والثالث الهجر بين (٢).

٣- وبشأن ما قيل من أن تسامح الدولة البويهية وتعاطفها مع الشيعة أدى إلى ظهور إخوان الصفا فهذا القول يمكن ضعفه والرد عليه وذلك على النحو التالي:

١- إذا نظرنا إلى فرق الشيعة وجدنا أن هناك فرقا متعددة كانت تعطف عليها وهذا يعنى أن فرق الشيعة لم تكن محل عطف البهو يهين وحدهم بل كان الأمراء المحليون وكثير منهم شيعي وله ولع بما يسميه المسلمون بالعلوم العقلية يحكمون رقعه كبيرة من العالم الاسلامي وكان

---

(١) الفلسفة السياسية عند إخوان الصفا ص ٣٨ وما بعدها .

(٢) الفهرست لابن النديم ص ١٣٩ ط بيروت .

هؤلاء جميعاً يعطفون على الشيعة ومن ثم لم يكن هناك ما يبرر تستر الجماعة في القرن الرابع الهجرى بل أن لجوئها إلى التستر لدليل على أن هذه الجماعة ظهرت قبل هذا القرن(١).

٢ - من المعلوم أن جماعة إخوان الصفا كانت تسعى لقلب نظام الحكم في الدولة ولا يعقل والأمر هكذا أن تعطف عليهم الدولة البويهية التي كانت تتولى الحكم الفعلى في فارس والعراق (٢).

٢- وإذا فرضنا جدلا بأنه قد يتيسر للأفكار الشيعة في عهد الدولة البويهية أن تميط اللثام عن حقيقتها وأن تظهر بفضل حمايتهم ورعايتهم حرة طليقة في رائعة النهار على حد قول جولد تستمر فإن من المعقول أن تذهب إلى القول بأن جماعة إخوان الصفا كانت قد تكونت جماعة سرية قبل العهد البويهي (٣).

ونحن هنا أمام رأيين مختلفين: الرأى الأول يرى أن الرسائل قد كتبت على يد بعض الأئمة الإسماعيليين المستورين ونظراً لما تحتويه من انتصار للعلويين وإشارة إلى قرب دولتهم وزوال دولة الظالم، والمقصود بها دولة العباسيين فقد أجهد أصحابها أنفسهم في إخفاء هذه الرسائل تقية وتسترا، أما أصحاب الرأى الثانى فهم يرون أن هناك جماعة ذات أغراض وأهداف وأن لها طقوسا وأعيادا ومراسم . وقد اعتمد أصحاب هذا الرأى على ما ورد في رسائل إخوان الصفا ذاتها من نصوص أخذوها بظاهر معناها دون أن ينظروا إلى ما جاء فيها من إشارات ورموز لها دلالتها الباطنية.

---

(١) جيور عبد النور إخوان الصفا ص ١٥ .

(٢) وسائل إخوان الصفا وخلان الوفاد / البير نصرى نادر ص ٣٧ المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٤ كلام.

(٣) انظر العقيدة والشريعة في الإسلام جوله تسيبهر ص ٢١٧ .

ويمكننا القول بعد استعراض الآراء السابقة أن ترجح الرأى الأول وذلك للأسباب الآتية:

١ - أن شيوخ الإسماعيلية اعتبرت رسائل إخوان الصفا رسائل مقدسة وأنهم قد دعموا رأيهم هذا بمجموعة من النصوص وردت في التراث الإسماعيلي كما أشرنا من قبل، علاوة على ذلك فقد أشار علماء الاسماعيلية إلى إخوان الصفا باعتبارهم السادة وأحلوهم مكانة مرموقة. وذلك نرى الدكتور/ عياش في كتابه (الإسماعيليون في المرحلة القرمطية) يقول: ونستطيع أن ترجح أن إخوان الصفا ليسوا سوى الإخوان الإسماعيليين الموحدين، وقد لا تعالى في الاقتراض إن رجحنا كون الرسائل قد وضعت من قبل جماعة الإخوان الاسماعيليين وموجهة إلى كافة الإخوان وهادفة أيضا إلى استقطاب أكبر عدد حول الدعوة [(١)].

٢ - وجود علاقة قوية بين إخوان الصفا وفرق الاسماعيلية الجميع الشواهد التاريخية والفكرية التي ملئت بها الرسائل تؤيد هذه العلاقة وتدل عليها وبما يؤيد ذلك . إقرار رسائل إخوان الصفا بوجود علوم سرية توارثها أهل بيت النبي الا الله باعتبارهم خزنة علم الله وكذلك دعوة الرسائل إلى إمام مستور والحديث عن دور الكشف ودور الستر للأئمة وهذه الأمور جميعها هي عقائد إسماعيلية [(٢)].

٣- بالإضافة إلى ما ذكرنا نجد أيضا أن إخوان الصفا يظهرون النزعة الشيعية في القسم الرابع من مجموعة الرسائل، ويتجلى ميلهم هذا في كثير من المقاطع [(٣)].

---

(١) الإسماعيليون في المرحلة القرمطية / سامى عياش ص ١١٢ دار ابن خلدون

(٢)إخوان الصفا : عبد الكريم خليفه ص ٢٧ .

(٣) إخوان الصفا / -جبور عبد النور ص ١٨ - دار المعارف بمصر

ومما يذكر أن رسائل إخوان الصفا تتكون من اثنتين وخمسين رسالة قسموها إلى أربعة أقسام: الرسائل الرياضية التعليمية وهي أربع عشرة رسالة ، والوسائل الجسمانية الطبيعية وهي سبع عشرة رسالة ، والوسائل العقلانية وهي عشر رسائل والرسائل الناموسية الإلهية والشرعية الدينية وهي إحدى عشرة رسالة(١) .

من خلال التقسيم السابق يتبين لنا أن إخوان الصفا قد سلكوا في رسائلهم مسلكا تثقيفيا عالجوا به أغلب، معارف عصرهم وهم يتبعون نظاما متسلسلا خاصا بهم فى إعداد موسوعتهم فبدأوا بالرياضيات لانهم يعتقدون أنها مدخل ضروري لدراسة علوم الحكمة وأنها عنصر أساسي لتقويم العقل والالتزام بالمنطق ولذلك جعلوا المنطق قسما من أقسام العلوم الرياضية ثم ينتقلون من الرياضيات إلى الطبيعيات وهذا أمر طبيعي بعد أن يكون العقل قد استقام بفعل الرياضية يصبح قادرا على تمييز ما يستمده من الحواس وهو أول طريق المعرفة عندهم كما سنرى، ثم يتبعون بعد ذلك دراسة النفسانيات العقلانية تأديا إلى الناموسيات الإلهيات وهي أسمى المعارف والغاية القصوى للمعرفة ...

---

(١) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي د / محمد أحمد الخطيب ص ١٧٢ مكنه الأقصى عمان – الأردن.

المطلب الثالث

غايتهم وأهدافهم

لا شك أن لإخوان الصفا ووجودها على مسرح الحياة الفكرية من غاية م تنتبه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وتح عينة وهدف يسيرون خلفه، فكثيراً ما يذكرون أغراضا نبيلة جعلوا شعارها الصداقة فتوجه بالتفانى والإخلاص في صحبة الإخوان أما غرضهم الحقيقي فهم لا ريب يلبسونه ثوب الانطواء والتمويه أو يشيرون إليه من طرف خفى فتراهم على سبيل المثال لا الحصر يحثونك على أن تجتهد فاعل نفسك يا بروح المعارف (١) .

ويمكن لنا أن نقسم الغاية التي يبتغيها إخوان الصفا من رسائلهم إلى:

١- غاية ظاهرة

٢- غاية باطنة

وسوف نتكلم عن كل واحدة منهما بشيء من الإيجاز.

أولا: الغاية الظاهرة:

يذكر إخوان الصفا في كثير من أقوالهم التي يرددونها في كثير من مقاطع رسائلهم أنهم يهدفون إلى غاية يريدون الوصول إليها ولقد رددوا في أحاديثهم كما يذكر أبو حيان التوحيدي . أن الباعث الأول الذي دعاهم إلى التآلف والتصافى والعمل هو أن الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة وذلك لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال (٢).

وتناول الباحثون هذه العبارة بالتفصيل واستشهدوا على صحتنا بالنصوص الكثيرة المنشورة فى الرسائل، والواقع أن الإخوان لم يدعوا

---

(١) انظر الرسائل ج ٤ ص ٣٣٦.

(٢) الإمتاع والمؤانسة أبو حيان التوحيدي ج ٢ ص ٥

فرصة عارضة لأوسعوا هذه الفكرة وأسهبوا فى إبانة ما هي عليه من الصحة فإذا بتقاليد الفلاسفة الانتقائيين [١] والمذاهب الشرقية التي امتازت بارتكازها على أسنين متساويين فى القوة والأهمية الدين والفلسفة تتمثل أيضاً في مدرسة إخوان الصفا بأجلى وضوح وأدق يان ولقد اتسع أفقهم بحيث لا يعادون علماً من العلوم ولا هجرون كتبا من الكتب، لا يتعصبون على مذهب من المذاهب لأن رأيهم يستغرق المذاهب كلها ويوحد العلوم جميعها [٢].

أدت بهم هذه النزعة إلى أنهم إذا شاءوا توكيد قضية من القضايا أو إثبات حكم من الأحكام بدأوا بذكر فكرتهم ثم أيدوها بما ورد في كتب الأنبياء وبما أثر عنهم من أقوال وهذا المنهج هو من طرائقهم الشائعة في كثير من الرسائل وانتهت بهم نزعتهم التوفيقية إلى أن يروا في جميع المذاهب الفلسفية مذهباً واحداً يوافق جوهر الأديان، ونظروا إلى الأنبياء نظرهم إلى الحكماء وساقوا أقوال الفئتين على أنها مؤيدة لأحكام متشابهة[٣].

هذا موقفهم من حيث النظر إلى المذاهب الشائعة وإلى الفرق المتعددة والكتب المتداولة ، ولكن الغاية التي يدعون أنهم يهدفون إليها في إتباع هذا المنهج التوفيقي هو بث معتقداتهم من خلال المباحث المتعلقة بالبحث والقيامة والحشر والدير والحساب لأن عليها هو الفرض الأقصى من وضع الرسائل كلها وفي كل من هذه الأبواب يتماثلون بمقاطع من كتب المفكرين وأقوال منزلة من الأديان وبأحاديث ثابتة عن الأنبياء وهكذا ينتهى المطالع إلى أنهم جهدوا أنفسهم عهد الخلاف والشقاق وتعدد الفرق والأحزاب في إعادة الوحدة

---

(١) الفلاسفة الانتقائيون أو الموفقون هم أصحاب المذهب التوفيق الذين يجمعون بين آراء ومذاهب مختلفة ويحاولون التأليف بينها لتكون فلسفة واحدة.

(٢) الرسائل – ٤ ص ٢١٦.

(٣) إخوان الصفاد / جبور عبد النور ص ١٩ وما بعدها .

إلى الإسلام والجمع بين المسلم والنصراني والمجوسي واليهودى والأفلاطوني والمشاق والفيثاغوري وتوجيه الجميع إلى غاية واحدة هي الحقيقة المطلقة.

ويكرر إخوان الصفا الوصية نفسها في الرسالة الجامعة فيحضون أحد رؤسائهم على أن يوصى الجماعة التي تأمر بأمره بألا تهجر مصنفاً من المصنفات الحكمة ولا رسالة من رسائل الأنبياء وألا تبغض علماً من العلوم الحقيقية وإن بعدت معانيها وصعبت إشارتها وتعذر البلوغ إليها(١) .

وهكذا نرى أن الغاية الظاهرة لإخوان الصفا هي معرفة الخير والسير وراءه ومعرفة الشر لا لفعله ولكن لتوقيه، ويبرهنون على ذلك بأن غرضهم الأمثل هو صلاح الدين والدنيا معتقدين بالحكماء من الفلاسفة وكان جل مذهبهم النظر في جميع العلوم الطبيعية والرياضية والإلهية وأنهم لا يعادون علماً من العلوم ولا مذهباً من المذاهب، ومن ثم فهم يريدون من الذين ينضمون إلى جماعتهم أن يعرفوا جميع العلوم والمعارف..

بيد أنهم في كل رسالة من رسائلهم يشيرون من طرف خفى أن وراء ما يذكرونه غرضاً غامضاً لم يعلنوا عنه وأن كل ما ذكروه رموز وإشارات وأن الإفصاح والإيضاح عن مراميهم وأهدافهم وغايتهم متعذر بل ترى العجب من أمرهم حينما يقولون، فتأمل هذا الكلام فإنه من الأسرار العجمية والرموز الدقيقة وفيه غرض غامض ، وينبغي أن تراجع نفسك النائمة السامية فائقة من غفلتك بل وأمعن النظر في جميع ما قلناه وافهم جميع ما يتناء من الإشارات والرموز ولا تظن بنا ظن السوء (٢) ...

(١) الرسالة الجامعة – ٢ ص ٤٠٢

(٢) انظر: الرسائل ١ ص ١٣٢

ثانياً: غايتهم الباطنة:

الإخوان الصفا ميول خاصة باطنة لا يصرحون بها في رسائلهم الامموه وبأسلوب رمزى يحتمل التأويلات المختلفة وتتفاوت هذه الميول من حيث أهميتها ومن حيث علاقتها بصميم مذهبهم الحفى، ففي الوسائل تصويب للدورة العلوية ومسى جدى لإقامة نظام سياسي جديد، كما أن فيها إشارات عابرة وغامضه نستشف منها ميلا خفياً إلى المجوسية [١]

وقد أشار الدكتور جيور عبد النور في دراسته عنهم : أنهم من الفرق الضالة التي عمدت إلى الاحتماء كذباً بأهل البيت وأن أكبر دليل لإدانتهم أسلوبهم، الرمزي وإخفاء أسمائهم والتحرز من ذكر الأعلام الذين يصدرون عن آرائهم وفكرهم تحفظاً من أن يكشف مذهبهم أو هواهم الشخصي، وأن في كتاباتهم إشارات غامضه يستشف منها ميل خفى إلى المجوسية وهم يرون أن علياً هو إلى طبقه الأنبياء أقرب، ويفرقون بينه وبين الصحابة ويحاولون وصفه بالتفوق على الخلفاء الراشدين وهذا هو المحصل الذي حاولت الشيعة على تعدد فرقها الوصول إليه، ويتجلى مبل إخوان الصفا للعلوية في كثير من المقاطع إذ يصرحون بأسماء بعض الأئمة ويحتجون بكلام الحسين ويعرضون الصفين، وهكذا نرى ذكر على وآل البيت والحسين بنوع خاص يتردد في كتاباتهم إلى أن يصلوا إلى مقطع من تلك الوسائل فيعلنوا بدون التواء انتماءهم إلى العلوية ويأخذوا بنقد جماعات شريرة من الناس جعلوا التشيع ستراً لهم[٢].

وإلى جانب ميل إخوان الصفا للمذهب العلوى الشيعي نستشف في الوسائل نقمه على السلطة الشرعية ومسعى للثورة عليها والتمهيد لانقلاب

---

(١) إخوان الصفاد / جيور عبد النور ص ١٨ .

(٢) إ خوان الصفا ص ٢١ .

يعدل الأوضاع والنظم غير أن النصوص لا توضح ذلك بجلاء، ونكتفى في هذه العجالة بذكر ما نرى فيه الحنا لهذه الغاية الخفية من ذلك أن في عضوان مباحثهم العملية التى لا صلة لها بالموضوعات الاجتماعية والمدنية مقاطع تعرض للملوك والسلاطين الجائرين كأنها تشير إلى الإمارات التي انتشرت آنذاك أو تعنى سلطاناً أو ملكا معروفاً في ذلك العصر(١) وهي مقاطع بندر ورود أمثالها في النصوص العربية الأخرى لما تحمله في طياتها من شكوى جليه من أصحاب السلطة ويزداد الإخوان جرأة فيتنبأون بانتهاء الدور الحاضر لأن النجوم والسيارات وانتقالها فى البروج تدل على مثل هذا الانقلاب ، وقد أشاروا إلى ذلك صراحه في الرسالة الجامعة إذ قرنوا ما يجرى على الأرض من الأحداث السياسية بما يتم في السموات من تقارب السيارات وتباعدها (٢).

(١) الرسائل – ٣ ص ١٧٧

(٢) إخوان الصفا ص٢٢

المطلب الرابع

مصادر علومهم

ويرجع الإخوان مصادر علومهم إلى أربعة كتب : أولها المصنفة على السنة الحكماء من الرياضيات والطبيعيات، وثانها الكتب المنزلة كالتوراة والانجيل والقرآن وغيرها . وغيرها من صحف الأنبياء وثالثها الكتب الطبيعية وهى صور أشكال الموجودات بما هي عليه الآن من تركيب الأفلاك وأقسام البروج وحركات الكواكب ومقادير أجرامها ، وفنون الكائنات من الحيوانات والنبات والمعادن ، وأضاف المصنوعات على أيدى البشر ، يرى الناس ظاهرها ولا يعرفون معانى بواطنها من لطيف صفة الباري ورابعها الكتب الإلهية التي لا يمسها إلا المطهرون الملائكة وهي جواهر النفوس وأجناسها وأنواعها وجزئياتها وتصاريفها للأجسام ، وما تصير إليه أمورها من انحطاط أو ارتفاع أو انبعاث وحساب أوجنان أو نيران أو مكث في البرزخ أو وقوف على الأعراف فكانت أكثر مذكراتهم إذا اجتمعوا في علم النفس والحس والمحسوس، والعقل والمعقول، والنظر . في أسرار الكتب الإلهية والتنزيلات النبوية ومعانى ما تتضمنه، موضوعات الشريعة وينبغي أيضاً أن يتذاكر العدد والهندسة والتأليف والنجوم(١)

القسم الرياضي:

وقد رأيناهم يجعلون القسم الرياضي أول أقسام رسائلهم لما للعدد ابن من مقام خطير في فلسفتهم لأنهم تأثروا طريقة الفيثاغور بين ولا سيما المحدثين منهم فاعتبروا العدد أصل الموجودات، ورتبوه على الأمور الطبيعية والروحانية، واعتمدوا فيها المربعات لأنهم وجدوا عدد الأربعة في

---

(١) انظر على سهل المثال: الوسائل ج ا ص ٧٢٠٤٩ و ج ٤ ص ٤٢ ١ ٢٦٤ ، ٣٠٤ ومواضع اخرى متعددة .

أكثرها، فصار له شرف الصدارة عندهم . مع السائر الأعداد من الفضل في نسبة بعضها إلى بعض كما توجد النسبة فى الأمور الطبيعية والأمور والروحانية في ذلك قولهم فى الرسالة الأولى، إن الأمور الطبيعية أكثرها جعلها البلوى أجل ثناؤه، مربعات مثل الطبائع الأربع التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة: ومثل الأركان الأربعة التي هي النار والهواء والماء والتراب، ومثل الأخلاط الأربعة هى الدم والبلغم والمرتان . المرة الصفراء والمرة السوداء، ومثل الأزمان الأربعة التي هي الربيع والصيف والخريف والشتاء ومثل الجهات الأربع ، والرياح الأربعة : الصبا والدبور والجنوب والشمال والأوتاد الأربعة الطالع والغارب ووقد السماء ورتد الأرض؛ والمكونات الأربع التي هي المعادن والنبات والحيوان والأنس وعلى هذا المثال وجد أكثر الأمور الطبيعية [١].

وقالوا أيضاً:

وأعلم يا أخي أن الباري ، جل ثناؤه، أول شيء اخترعه وأبدعه من نور وجدانيته جوهر بسيط يقال له العقل الفعال، كما أنشأ الاثنين من الواحد بالتكرار ثم أنشأ النفس الكلية الفلكية من نور العقل كما أنشأ الثلاثة بزيادة الواحد على الاثنين ثم أنشأ الهيولى الأولى من حركة النفس كما أنشأ الأربعة بزيادة الواحد على الثلاثة ثم أنشأ سائر الخلائق من الهيولى ورتها بتوسط العقل والنفس كما أنشأ سائر العدد من الأربعة بإضافة ما قبلها إليها كما مثلنا من قبل [٢].

وكذلك كان لهم من العدد والهندسة والنجوم منافع في الطلبيات والعزائم لأن رسائلهم تشتمل على ضروب من السحر والشعيذات والخرافات وتدخل

---

(١) رسائل إخوان الصفا ج ١ ص ٧٠ وما بعدها .

(٢) الرسائل ج ٣ ص ١٨٢ و ج ٤ ص ٢١٢ وانظر الرسالة الجامعة ج١ ص ٢٧٠

الموسيقى في القسم الرياضي ، فقد بحثوا في صناعتها وأصلها وفي إمتزاج الأصوات وتنافرها وفي أصول الألحان وقوانينها ولم يغفلوا عن ربطها بالأقسام الطبيعية، وأن – هلو الها صلة بنغمات الأفلاك متأثرين بأقوال الفلاسفة اليونانيين والإسكندرين، كما أن كلامهم على المنطق في هذا القسم لم يجاوز مقدمة مزخر بوس وآراء أرسطو، وليس فيه لا قليل من الابتكار أو هو خلو من الابتكار جملة.

القسم الطبيعي:

وأما القسم الثاني من رسائلهم ويبحث في الطبيعة فقد كانوا في أكثره أرسطيين وفى بعضه فثاغوريين أفلاطونيين، فقد تكلموا على الهيولى والصورة والزمان والمكان والحركة والآثار العلوية وعلى المعادن والحيران والإنسان والنفس واللذة والألم وعلى الأصوات وإدراك القوة السامعة لها... في ذلك قولهم إن الحيوانات تحس باللذة والألم لأن أجسامها مركبة من الطبائع الأربع الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة وهي دائمة التغيير بين زيادة ونقص، فتارة تخرج المزاج من الاعتدال إلى الزيادة في إحدى الطبائع وتارة إلى النقص. واللذة هى رجوع المزاج إلى الاعتدال بعد خروجه عنه فكان من ذلك أن الحيوان لا يحس باللذة إلا إذا تقدمها الم وتكون اللذه باعتدال الطبائع الأربع والألم يغلبه إحداهما على الأخرى كما لو زادت طبيعة الحرارة في الجسم ونقصت طبيعة البرودة أو زادت طبيعة اليبوسة ونقصت طبيعة الرطوبة(١) وقادهم بحثهم في المعادن والنبات والحيوان إلى القول بتماسك هذه المخلوقات فلسوا به مذهب النشوء والارتقاء، قالوا إن المعادن متصل أولها بالتراب وآخرها بالنبات فخضراء اليمن است. بشيء سوى غبار يتلبد بالأرض والصخور والأحجار ثم تصيبه الأمطار وأنداء

(١) الوسائل – ٢ ص ٦٣ والرسالة الجامعة – ٢ ص ٢٩٩.

الليل فيصبح بالغد كأنه نبت زرع وحشائش ، فإذا أصابه حر شمس نصف النهار جف والنبات آخره متصل بالحيوان، فالنخل هو آخر المرتبة النباتية مما يلى الحيوانية وذلك أن النخل نبات حيواني لأنه مباين في بعض أحواله أحوال النبات فإناته غير ذكوره، ولقاحها من الفحولة كافاح إناث الحيوان، وإذا قطعت رؤوس النخل جف وبطل نموه ومات وهذا من شأن الحيوان لا من شأن الثبات وكذلك آخر مرتبة الحيوان متصل بأول مدينه الإنسان كالقرد في التقليد والفيل في الذكاء والنحل في حسن التدبير[١]

قسم النفسانيات والعقليات:

وكانوا في القسم الثالث من رسائلهم، على رأى الفيثاغو بين، وفيها أفلاطوني وأرسطى، تبحث في ما بعد الطبيعة من النفسانيات والعقليات، فاعتمدوا مذهب الأفلاطونية الحديثة في تعليل صدور الموجودات عن الله بطريق الفيض وهو يختلف عن الخلق الذي تقول به الأديان فالعقل الفعال أول موجود فاض عن البارى ثم فاضت النفس الكلية من العقل، ثم فاضت الهيولى الأولى من النفس وهذه الموجودات الثلاثة جواهر روحانية بسيطة فلما قبلت الهيولى الأولى من النفس الصورة الأولى وهي الطول والعرض والعمق، أصبح جسما مطلقا وهو الهيولى الثانية ووقف الفيض عند وجود الجسم، ولم يفض منه جوهر آخر لنقصان رتبته عن الجواهر الروحانية، وغلظ جوهره وبعده من العلة الأولى ولما دام الفيض من الباري على العقل الفعال، ومن العقل الفعال على النفس الكلية أو العقل المتعقل، عطفت النفس على الجسم، فصورت فيه الصور والأشكال والأصباغ لتتمه بالفضائل والمحاسن فقبل منها الشكل الكروى أفضل الأشكال، وحركته بالحركة الدورية وهى أفضل الحركات فكان من ذلك عالم الأفلاك مرتبة بعضها في

(١) الرسائل – ٣ ص ١٨٧ .

جوف بعض من لدن الفلك المحيط إلى منتهى مركز الأرض فصار الكل عالما واحدا منتظما نظاما كليا واحدا . وصارت الأرض أغلظ الأجسام كلها وأشدها ظلمة لبعدها عن الفلك المحيط وصار الفلك المحيط ألطف الأجسام كلها وأشدها روحانية وأشفها نورا لقربه من الهيولى الأولى التى هى جوهر بسيط معقول، فتم الفيض انبجاسا من الأعلى إلى الأسفل حتى إذا تكونت الأفلاك السماوية تولت بحركاتها المنتظمة توليد الأركان الأربعة تحت فلك القمر، وهى النار والهواء والماء والأرض، ودارت الأفلاك بأبراجها وكواكبها على هذه الأركان و تعاقب عليها الليل والنهار، والشتاء والصيف، والحار والبارد واختلاط بعضها بعض، فامتزج اللطيف منها بالكثيف، والثقيل بالخفيف، والحار بالبارد والرطب باليابس، فتركبت منها على طول الزمان أنواع التركيبات من الأسفل إلى الأعلى فكانت المعادن ثم النبات ثم الحيوان، ثم الإنسان(١) وعلى هذا فالنفس الكلية هي نفس العالم بأسره، والعقل الفعال الكلى هو القوة الإلهية المؤيدة للنفس الكلية والطبيعة الكلية هي قوة النفس الكلية السارية في جميع الأجسام تحركها وتديرها. والهيولى هي الجوهر الذي له طول وعرض وعمق فهو بها جسم مطلق والأجسام البسيطة هي الأفلاك والكواكب والأركان الأربعة . والأنفس البسيطة هي قوى النفس الكلية المحركة والمديرة لهذه الأجسام ويسمونها في رسائلهم الملائكة الروحانيين. والأجسام المولدة هي أنواع الحيوانات والنبات والمعادن، تحركها وتدبرها قوى الأنفس البسيطة، والأجسام الجزئية هي أشخاص الحيوان والنبات والمعادن وغيرها من المصنوعات على أيدى البشر وغيرهم من الحيوان والأنفس الجزئية المتحركة هي قوى النفس الحيوانية والنباتية والمعدنية السارية في الأجسام الجزئية المحركة والمدبرة لها تحت فلك القمر

---

(١) الرسائل ج ٣ ص ١٨٤ .

وبذلك يكون حكم العالم ومجاري أموره بجميع ما فيه من الأجسام على إختلاف صورها وتغاير أعراضها كجسم الإنسان الواحد من الناس، أو الحيوان الواحد، فهو الإنسان الكبير كما يسمونه(١).

والنفس الإنسانية قوة من قوى النفس الكلية اتحدت بالجسد رغبة في الحصول على المعرفة التامة التى هى صفات العقل الكلى ولكنها لا تستطيع بلوغ غايتها إلا بمعونة ذلك العقل وإرشاده، فيحل فيها بهيئة العقول الإنسانية ويساعدها فإذا أحسنت الاسترشاد به، وأفسح لها في البقاء لتنال قسطاً وافيا من الحكم والصلاح صارت أهلا للثواب حتى إذا فارقت أجسادها إرتقت إلى الملأ الأعلى ودخلت في زمرة الملائكة إلى أن تتحد بالله في اليوم الأخير وللنفس الإنسانية قوى كثيرة لا يحصى عددها ولها بكل قوى في عضو من أعضاء الجسد فعل خلاف عضو آخر ولها عدا ذلك خمس قوى أخرى تمتاز بشرفها عن غيرها، وهي أولا القوة المفكرة، ومسكنها وسط الدماغ أشرف عضو من الجسد وأخص مكان منه فكأنها الملك وسائر القوى لها كالجنود والأعوان والخدم والرعية يتصرفون بأمره ونهيه، ثانياً: القوى المتخيلة ومسكنها مقدم الدماغ ونسبتها إلى القوة المفكرة بما تجمع إليها من أخبار المحسوسات كنسبة صاحب الخريطة إلى الملك، وثالثها: الحافظة، ومسكنها مؤخر الدماغ ونسبتها إلى المفكر كنسبة الخازن الحافظ ودائع الملك، ورابعها: الناطقة التي مجراها على اللسان ونسبتها إلى المفكرة كنسبة الحاجب الترجمان إلى الملك، وخامسها: الصانعة مجراها اليدان والاصابع ، ونسبتها إلى المفكرة كنسبة الوزير المعين له فى تدبير مملكته والمساعد له في سياسته لرعيته(٢).

---

(١) الرسائل ج ١ ص ٣١٣

(٢) الرسائل ج٣ ص ٢١٠

قسم الآراء والديانات:

وأما القسم الرابع من رسائلهم فيختص بالآراء والديانات، وما اتصل بها من المذاهب الروحانية والفلسفية والعلمية والخرافية، غايتهم منها التوفيق بين الدين والفلسفة وهذه المحاولة لم يغفل عنها الفارابي وابن سينا ولكنها حرصاً على أن يكون التوفيق بين الفلسفة التقليدية والدين كما جاء به القرآن على اعتبار أنها حقيقة مزدوجة ، فلا يصح أن يكون بينها خلاف . بيد أن إخوان الصفاء لم يأخذوا الإسلام بشرائعة الخالصة عندما سلكوا خطة التوفيق بل مزجوه بمختلف الأديان والآراء والعقائد زاعمين أن مذهبهم يستغرق المذاهب كلها فكأنهم أرادوا بذلك كما قال دى بور أن يضعوا دينا عقليا يعلوا الأديان جميعا، وبه يتم التوفيق بين الشريعة والحكمة . ومن الآراء الفاسدة "رأى من يعتقد أن الله الرحيم الرءوف الحنان يعذب الكفار والعصاة في خندق من النار غيظا عليهم وحنقا وكلما احترقت أجسامهم وصارت فحماً ورمادا، عادت فيها الرطوبة والدم لتحرق مرة ثانية"(١) فهذه الاعتقادات في رأيهم لم تؤلم أصحابهم و تجعلهم يسيئون الظن برحمة الله وحنانه. فليس هناك شياطين على رأسهم إبليس خلقهم الله ليسلطهم على عباده، يناصبونهم العداء والبغضاء، ويفعلون ما يريدون، وإنما هو الإنسان إذا بلغ أشده، وعقل الأمور وفهم وصايا الله ووعده ووعيده، فأهمل أمر الدين ولم يتعظ، وانصرف إلى شهواته وملذاته وساءت سيرته وأعماله كانت نفسه شيطانية بالقوة فإذا فارقت جسدها عند الموت صارت شيطانية بالفعل وذلك أنها سلبت بموتها الحواس الخمس التي كانت تتناولها بها ملذاتها الجسمانية فصارت ممنوعة عنها بعدما اعتادها فى الماضى من عمرها فلا هي تستطيع الرجوع إليها، ولا هي تبلغ النعيم لتستغنى عنها فيكون عذابها في شوقها إلى شهواتها

(١) تاريخ الفلسفة في الإسلام دى بورد ص١٠٦.

الجرمانية وتبقى هائمة فى الجو دون فلك القمر وتطرح بها أمواج الطبيعة في بحر الهيولى إلى كل فج عميق وهى مشتعلة بنيران شهواتها وتكون معذبة بذاتها من وزر سيئاتها وسوء عاداتها إلى يوم القيامة الكبرى فهذه هي جهنم الكفار والأشرار والفساق والفجار.

وأما نفوس المؤمنين الصالحين فإنها ملائكة بالقوة فإذا فارقت أجسادها كانت ملائكة بالفعل ومعنى القيامة الكبرى هي رجوع النفس الكلية إلى عالمها الروحاني وخراب العالم الجسماني بعد فراقها كما يرى إخوان الصفا[١].

هذه نبذة مختصرة عن التعريف بجماعة إخوان الصفا ونشأتهم ننتقل بعد ذلك إلى الآراء الفلسفية عندهم.

---

(١) مقدمة رسائل إخوان الصفا بطرس البستاني ص ٢٠ .

المبحث الثاني
فلسفتهم في الكون والطبيعة

وفيه مطالب:

المطلب الأول
نظرية الوجود

ينبغى قبل الدخول في نظرية الوجود عند إخوان الصفا أن نبين رأيهم في الفرق بين الخلق والإبداع، فهم يرون أن الخلق تقدير كل شيء من شيء آخر أو المصنوع ليس بشيء غير كون الصورة في الهيولى وأما الإبداع والإختراع فهو إيجاد شيء لا من شيء، ولذلك يذكرون في رسائلهم :إن إبداع البارى سبحانه ليس بتركيب ولا تأليف بل هو إحداث وإختراع وإخراج من العدم إلى الوجود والمثال في ذلك كلام المتكلم وكتابة الكاتب فان أحدهما يشبه الإبداع وهو الكلام والآخر يشبه التركيب وهو الكتابة، فمن أجل هذا إذا سكت المتكلم بطل وجدان الكلام، وإذا أمسك الكاتب لا يبطل وجدان الكتابة فلذلك إذا قبض الباري سبحانه جوده بطلت الموجودات دفعة واحدة وبهذا البرهان صح أن خلق المخلوقات إبداع وإختراع وليس بتركيب ولا تأليف لأن التركيب أو التأليف باق وإن أمسك المؤلف تأليفه وقطع المركب تركيبه كما يمسك الكاتب عن الكتابة وتبقى صورة حروفه والدليل على صحة ما قلناه وحقيقة ما وصفناه قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ﴾ [1] وكذلك قوله: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾[2] لا يشغله شأن عن شأن فبهذا الاعتبار تكون معرفة. االعلل والمعلولات[3] بهذا المعنى لا يكون الكون عند إخوان الصفا مخلوقا وإنما هو

---

(١) سورة فاطر آية ٤١ (١) -
(٢) سورة الرحمن آية ٢٩ (٢)-
(٣) الرسائل ج ٣ ص ٤٧٢

إبداع من البارى، تلك هي القضية الأولى التي يرتبون عليها نظريتهم فى الوجود ولقد تأثر إخوان الصفا في هذه النظرية ببعض فلاسفة اليونان فأخذوا بنظرية الفيض عند أفلوطين(١) ومزجوها بفلسفة فيثاغورس(٢) في الإعداد وبفلسفة الفلاسفة الطبيعيين بالإضافة إلى فلسفة أرسطو القائلة بالهيولى والصورة(٣) .

بل إنهم يستشهدون في عرض رأيهم في الوجود بالآراء الفيثاغورية إتساقا مع فكرة التوحيد التي تعتبر من أهم دعائم الإسلام فيقولون: فأما الفيثاغوريون فأعطوا كل ذي حق حقه ثم قالوا: "إن الموجودات بحسب طبيعة العدد يعنون أن الأشياء الموجودة منها ما هو إثنان إثنان ومنها ما هو ثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة وخمسة خمسة وهكذا بالغا ما بلغ وقالوا إن الواحد أصل العدد ومنشؤه ومن الواحد يتألف العدد قليله وكثيره وأزواجه وأفراده فالواحد هو علة العدد كما أن الباري جلت أسماؤه علة الموجودات وموجوها" .

مما سبق يتضح لنا أن إخوان الصفا فرقوا بداية بين الخلق والإبداع:

وقرروا أن الله تبارك وتعالى هو الذي أوجد الموجودات عن طريق الإبداع الذي هو إيجاد الأشياء من لا شيء وهم كذلك يعترفون بأن الله واحد لا كثرة فيه ولا تعدد، وأن صدور الموجودات عن الباري إنما هو عن طريق الفيض.

---

(١) أفلوطين: يلقبه الشهر ستاني بالشيخ اليوناني ، وقد عاش ما بين سنة ٢٠٣ – ٢٦٩ م

(٢) فيثاغورس : فيلسوف إغريقي وإليه تنسب المدرسة الفيثاغورية ولد سنة ٥٧٢ ق . م في جزيرة ساموس وزار بلاد الشرق لاسيما مصر ثم استقر به المقام في جنوب إيطاليا حيث أسس مدرسته هناك.

(٣) تاريخ الفكر العربي د / عمر فروخ ص٣٨٦

أما كيف فاض الكون عن البارى وانبثقت الكائنات بعضها عن بعض فإنهم يجيبون عن ذلك قائلين: إن الله تعالى لما كان تام الوجود كامل الفضائل عالما بالكائنات قبل كونها قادراً على إيجادها متى شاء لم يكن من الحكمة أن يحبس تلك الفضائل فى ذاته فلا يجود بها ولا يفيضها فإذا بواجب الحكمة أفاض الجود والفضائل منه كما يفيض من عين الشمس النور والضياء ودام ذلك الفيض منه متصلا متواترا غير منقطع فيسمى أول ذلك الفيض العقل الفعال وهو جوهر بسيط روحاني نور محض في غاية التمام والكمال والفضائل وفيه صور جميع الأشياء كما تكون في فكر العالم صور المعلومات [(١)].

هكذا يصور إخوان الصفا كيفية إنبثاق الموجودات والكائنات عن الله عز وجل إذ يقررون أن أول شيء إنبثق عن الله عز وجل هو العقل الفعال ثم نراهم بعد ذلك يقولون: ' وفاض من العقل الفعال فيض آخر دونه في الرتبة يسمى العقل المنفعل وهى النفس الكلية وهي جوهرة روحانية بسيطة قابلة للصور والفضائل من العقل الفعال على الترتيب والنظام كما يقبل التلميذ من الأستاذ التعلم[(٢)] .

وفاض من النفس أيضا فيض آخر دونها في الرتبة يسمى الهيولى الأولى وهى جوهرة بسيطة روحانية قابلة من النفس من الصور والأشكال بالزمان شيئاً بعد شيء فأول صورة قبلت الهيولى الطول والعرض والعمق فكانت بذلك جسما مطلقا وهو الهيولى الثانية ووقف الفيض عند وجود الجسم ولم يفص منه جوهراً آخر بنقصان رتبته عن الجواهر الروحانية وغلظ جوهره وبعده من العلة الأولى، ولما دام الفيض من البارى تعالى على العقل

---

(١) الرسائل ج ٣ ص ١٩٦

(٢) الرسائل ج ٣ ص ١٩٦

ومن العقل على النفس عطفت على الجسم فصورت فيه الصور والأشكال والإصباغ لتتمه بالفضائل والمحاسن بحسب ما يمكن من قبول الجسم وصفاء جوهره فأول صورة عملت النفس في الجسم الشكل الكلى الذي هو أفضل الأشكال كلها وحركته بالحركة الدورية التي هي أفضل الحركات ورتبت بعضها في جوف بعض من لدن الفلك المحيط إلى منتهى مركز الأرض وهى إحدى عشرة كرة فصار الكل عالما واحداً منتظما انتظاما كليا واحداً وصارت الأرض أغلظ الأجسام كلها وأشدها ظلمة أبعدها من الفلك المحيط وصار الفلك المحيط ألطف الأجسام كلها وأشدها روحانية وأشفها نوراً لقربه من الهيولى الأولى التي هي جوهر بسيط معقول وصارت الهيولى أنقص رتبة من العقل والنفس لبعدها من الباري جل وعز وذلك أن الهيولى هي جوهرة بسيطة روحانية معقولة غير علامة ولا فعالة ، بل قابلة آثار النفس بالزمان منفعلة لها وأما النفس فانها جوهرة بسيطة روحانية علامة بالقوة فعالة بالطبع قابلة فضائل العقل بلا زمان فعالة فى الهيولى بالتحريك لها بالزمان، وأما العقل فانه جوهر بسيط روحانى أبسط من النفس وأشرف منها قابل لتأييد البارى تعالى فهو مبدع الجميع وخالق الكل فالمبدع لا يشبه المبدع وكذلك الخالق لا يشبه المخلوق والفاعل لا يشبه المفعول بوجه من الوجوه وسبب من الأسباب فتبارك الله رب العالمين (١).

واضح مما سبق أن الذي دفع إخوان الصفا إلى القول بنظرية الفيض هو ميلهم الشديد إلى تنزيه الباري وتجريده عن كل ما يوهم التجسيد أو التشبيه.

ومما لا شك فيه أن نظرية الفيص التي قال بها إخوان الصفا توحي لمن يتدبرها جيداً بأن هذا العالم قديماً باعتبار أن الله قديم فالعالم الذي فاض عنه

---

(١) الرسائل ج ٣ ص ١٤٨.

قديم مثله ولهذا فلا نهاية له أيضا فالله الذي فاض منه هذا العالم باق، فالفيض الذي فاض منه باق ببقائه.

يقول الأستاذ الدسوقى:

"وعلى هذا فلا داعي للتكاليف والشرائع لأنه لا يوجد حساب أو عقاب أو قيامة لأن الله لم يكن له شأن فى خلق هذا العالم ولم يوجده لغاية ولم يتصل به أى إتصال فكيف يكلفه وهو لم يرد خلقه لشيء معين يريده هو"(١).

وقد تعرض القائلون بالفيض لتهمة الإلحاد من أهل السنة الذين رأوا القول بالفيض مصادرة للمشيئة الإلهية كما أنه يقتضى قدم العالم مما يتنافى مع ما ورد في الأديان السماوية من القول بالخلق وما يترتب عليه من حدوث العالم وذلك حتى لا يكون قديما مع الله، وإذا كانت هذه التهمة قد عمت القائلين بالفيض إلا أن ما خص إخوان الصفا منها كان أشد وطأة ولكن رغم كل ذلك فان إخوان الصفا حاولوا الخروج من هذا المأزق وتمشيا مع مذهبهم في محاولتهم للتوفيق بين الدين والفلسفة ذكروا نصوصا في رسائلهم توضح أن العالم حادث وأن له نهاية حتى لا تتعارض نظريتهم مع العقيدة الإسلامية فقالوا إن وجود العالم عن الله سبحانه ليس كوجود الدار عن البناء إذا فرغ من بنائها لم تعد فى حاجة إليه عن الكاتب إذا انتهى من كتابه صار له وجود مستقل منه ولكنه كوجود الكلام عن المتكلم فإذا سكت بطل وجوده، أو كوجود نور السراج في الهواء ما دام السراج باقياً فالنور موجود، وكما أن كلام المتكلم ليس جزءاً منه بل هو فعل له وعمل أظهره بعد أن لم يكن فكذلك وجود العالم عن الباري ليس بجزء منه سبحانه تفضل به وفيض أفاضه وفعل فعله بعد أن لم يكن فعل(٢).

وأقرر هنا بأن الموقف الذى إتخذه الدكتور/ عمر الدسوقى من إخوان

---

(١) إخوان الصفا د/ عمر الدسوقى ص ١٥٠

(٢) الرسائل – ٣ ص ١٨٥

الصفا على حد قوله بأن الله لم يكن له شأن في خلق هذا العالم، كان فيه اجحافا لهم لأن إخوان الصفا لم ينفوا فكرة المشيئة الإلهية بل إنهم رتبوا صدور العالم بواجب الحكمة الإلهية على مشيئة إلهية اقتضت ألا تظل الفضائل محبوسة دون إفاضتها وهم يشيرون إلى ذلك قائلين: "إن الله لما كان تام الوجود كامل الفضائل عالما بالكائنات قبل كونها قادراً على إيجادها متى شاء لم يكن من الحكمة أن يحبس تلك الفضائل في ذاته فلا يجود بها ولا يفيضها فإذا بواجب الحكمة أفاض الوجود والفضائل منه [١].

وجاء في الرسالة الجامعة:" أن الله سبحانه وتقدست أسماؤه جعل خلقه دالا على دينه، ودينه مشيراً إلى توحيده وجعل الأشياء مزدوجة مرتبطة بعضها ببعض إرتباطا معتدل الأقسام مستوى النظام على النسبة الفاضلة بموجب الحكمة ومقتضى العدل فخلق الروحاني والجسماني وربط بعضها ببعض وأحوج بعضها إلى بعض، وخلق الأرواح اللطيفة بالهياكل الكثيفو لما له فى ذلك من المشيئة الإلهية والحكمة الربانية" [٢]

من خلال النصوص السابقة وغيرها مما جاء في رسائل إخوان الصفا يتبين لنا أنهم يقولون صراحة بأن العالم مصنوع وليس قديما كما أنهم يقرون المشيئة الإلهية وذلك واضح تماما، من خلال النص الذي سقناه منذ قليل.

ومهما يكن من أمر فإن إخوان الصفا أخذوا بنظرية الفيض وذلك حرصا منهم فى تجريد البارى وتنزيهه عن كل ما يوحى بالجسمية أو المكانية.

---

(١) الرسائل ج ٣ ص ١٩٦.

(٢) الرسالة الجامعة ج ٢ ص ١٣٩.

المطلب الثاني

فلسفتهم في الطبيعة

يتناول إخوان الصفا الطبيعة في نظرتهم الشمولية فيوضحون تعريفهم للطبيعة من خلال ردهم على من ينكر أفعالها فيقولون: أن الطبيعة إنما هي قوة من قوى النفس الكلية منبثة منها في جميع الأجسام التي دون فلك القمر سارية في جميع أجزائها كلها تسمى باللفظ الشرعى الملائكة الموكلين بحفظ العالم وتدبير الخليقة بإذن الله وتسمى باللفظ الفلسفي قوى طبيعية وهي فاعلة في هذه الأجسام بإذن الباري جل ثناؤه .[(١)]

ويلاحظ أن عالم الطبيعة أو عالم الأجسام يختلف في تركيبه عند إخوان الصفا عن عالم الروحانيات، فعالم الروحانيات يهتدى من الأعلى الذي هو العقل الكلى، أما عالم الأجسام فإن بدأه يكون من الأدنى مندرجا في الصعود بدءاً بالمعادن من أدناها إلى أشرفها ماراً بالنبات كذلك من الأدنى إلى الأعلى ومنها إلى الحيوان على نفس الترتيب نجد ذلك واضحاً في النص التالي: "فكان أوله شيء بدأ من الأرض وتكون المعادن، ثم صورة النبات، وكان ذلك في الأرض بالقوة لما قدر الله سبحانه فيه من أنه يكون غذاء للحيوان وجعل النبات متقدم الوجود على الحيوان لحاجة الحيوان إليه وأنه لا غنى به عنه فكانت صورة النبات مجموعة فيها صورة الحيوان بالقوة ثم بدأ الحيوان يتركب منه الأدون فالأدون فالأقل مما هو آلة مستخدمة لمن يأتي بعده وموهوب له وهكذا[(٢)] .

هكذا نرى أن عالم الطبيعة عند إخوان الصفا يبتدى في تركيبه من الأدنى إلى الأعلى عكس ما عرفناه عنهم فى عالم الروحانيات ثم نراهم بعد

---

(١) الرسائل ج ٢ ص ٦٣ .

(٢) الرسالة الجامعة ج ١ ص ٢٧٩.

ذلك يقولون:

"ولما كان الخلق الجسماني والعالم الطبيعي يقبل الكون والفساد والتغير والاستمالة .. كانت البداية بالأدنى حتى تكون النهاية بالأفضل فلذلك كان ظهور الإنسان بعد كون المعارف والنبات والحيوان لما له فيها من المنفعة والمصلحة ولو كانت البداية في الحلقة الجسمانية بالإنسان قبل المعادن والنبات والحيوان لكان خلقه عبثا لأنه لم يقدر على البقاء ولا يتيسر له العيش(١).

لقد جعل إخوان الصفا الكائنات كاما من أصل واحد تتفرع منه تدريجياً سائراً الأنواع وأن هذه الأنواع يتداخل بعضها مع بعض وأن تركيب هذا العالم يكون من اختلاط الأركان الأربعة الماء والنار والهواء والتراب مختلطا بعضها ببعض لتنشأ منها المولدات الثلاث المعادن والشباب والحيوان بعد ذلك واضحاً في النص التالي:

تم ركب من الجسم عالم الأفلاك والكواكب والأركان الأربعة جميعاً ثم إدراك الأفلاك حول الأركان واختلطت بعضها ببعض وكان منها المولدات الكائنات من المعادن والنبات والحيوان(٢) .

ويزيد إخوان الصفا الأمر وضوحاً فيرون أن هناك إتصالا وتداخلا بين الكائنات الثلاث بعضها ببعض فأعلى مراتب المعادن تشارك أدنى مراتب النبات وأعلى مراتب النبات تشارك أدنى مراتب الحيوان فيقولون:

"إن الباري جل ثناؤه لما أبدع الموجودات واخترع الكائنات جعل أصلها كلها من هيولى واحدة وخالف بينها بالصور المختلفة وجعلها أجناساً وأنواعاً مختلفة وقرى ما بين أطرافها وربط أوائلها وأواخرها بما قبلها رباطا واحداً

---

(١) الرسالة الجامعة ج ١ ص٢٨٠.

(٢) الرسائل ٢ ص ٤٦٥ .

على ترتيب ونظام لما فيه من إتقان الحكمة وإحكام الصنعة لتكون الموجودات كلها عالماً واحداً منتظماً نظاماً واحدا وترتيباً واحداً لتدل على صانع أحد"(١).

وهكذا جعل إخوان الصفا الكائنات كلها من أصل واحد تتفرع منه تدريجياً سائر الموجودات ويدللون على إنبثاق المولدات بعضها من بعض بعدة أمثلة منها ما هو فى أعلى درجات النبات كالنخل الذي يشارك الحيوان في بعض صفاته كالذكورة والأنوثة والموت بقطع الرأس فكأنه نبات حيواني، ومنها الحلزون الذي هو أدنى مراتب الحيوان وهو مشارك للنبات لأن جسمه ينبت كما ينبت النبات ويقوم على ساقه قائماً، أما المشاركة بين الحيوان والإنسان فإنها من وجوه عدة وليست من وجه واحد بحيث أن أكثر من نوع من الحيوان يشارك الإنسان بعض صفاته كالقرد الذي يشاركه في شكل الجسم والفرس الذى يشاركه في كرم أخلاقه والفيل الذي يشاركه ذكاءه وهم فى بيان حال الإنسان يجعلونه ذا مراتب متعددة أدناها الذين لا يعلمون وأعلاها أولئك الذين بلغوا مرتبة الملائكة(٢) .

---

(١) الرسائل – ٢ ص ١٦٦.

(٢) انظر: الرسائل ح ٢ص ٢٥٨.

المطلب الثالث

فلسفتهم في الإنسان

كثيراً ما نرى إخوان الصفا يتحدثون عن الإنسان بإعتباره عالماً صغيراً، وقد خصصوا رسالة للحديث عنه فهم يأخذون من أقوال السابقين ما يتفق مع وجهة نظرهم وما يخدم مذهبهم، وهذه النظرية قديمة حيث استخدمها الإسماعيلية استخداماً بعيد المدى ولاسيما في الموازنة بين الكون والأئمة وهذا هو كتاب راحة العقل للكرماني الذي يكرس فيه كل جهد في هذه الموازنة ولاسيما بين الدين والمخلوقات وتسمى هذه النظرية لدى الإسماعيلية نظرية المثل والممثول وهو إستخدام للعقل في الموازنة بين الشرع والخلق ثم جعل المحسوسات دليلا على المعقولات أما الذي دعا الحكماء إلى تسمية الإنسان أو وصفه بالعالم الصغير فهو أنهم لما تأملوا في الكون بأجمعه لم يجدوا جزءاً من أجزائه أتم بنية وصورة من الإنسان كذلك وجدوا أن الإنسان هو أشد وأقرب المخلوقات شبها بالكون وكون الإنسان عالماً صغيراً هو مما يدل على صدور الأشياء من علة واحدة وتلك إشارة خفية إلى نظرية الفيض وفي ذلك نراهم يقولون:

" لما كان الإنسان عالماً صغيراً وجب أن يكون في خلقه وعجائب فطرته مثالا لما في العالم الكبير الذي هو إنسان كبير، وكان ذلك دليلا برهانياً وشاهداً عقلياً على أن الموجودات ترتبت كلها عن علة واحدة ومبدأ واحد وأنها كترتيب الأعداد(١).

وأن تركيب الإنسان من نفس واحدة وجسد واحد هو السبب في أن يشبه الكون تماماً وفي ألا تساويه بقية المخلوقات في هذا التشابه وقد وجد الحكماء الجسد الإنسان ممثولا في العالم الجسماني من حيث التركيب والترتيب

---

(١) الرسائل ج ٤ ص ١٠٣ .

وكذلك وجدوا ممثولا للنفس من الملائكة والجن والإنس، ونفوس بقية الحيوان وحاول إخوان الصفا توضيح العلاقة بين الكون والإنسان وكشفوا عن ثروة هائلة مختلطة من العلاقات بين الأشياء التي في الكون وبين الإنسان[١] .

وإن نقطة الارتكاز عند إخوان الصفا في جعل الإنسان عالماً صغيراً تدور حول قيمة النفس الإنسانية ذلك إن الجوهر النفس منزلة وكرامة ليست الجواهر الأجسام لأن النفس حية بذاتها وعلامة فعالة وكان لا بد لهذه النفس من أن تستكمل فضائلها [٢].

ويذكر إخوان الصفا السبب في أن الله تعالى جعل للنفس الإنسانية جسدا هو أن النفس لا بد لها من استكمال فضائلها وذلك إنما يكون بالمعرفة ولا بد أن تكون تلك المعرفة شاملة للكون كله وهنا تتبع مشكلة وهي أن الإنسان محدود العمر ولا يمكن أن يعلم كل شيء في الكون في فترة حياته الوجيزة ولذا كان من الحكمة الإلهية أن أبدعت هذا الجسد وجعلته صورة صغيرة للكون كله...

وبالرغم من إن للإنسان خاصية هي النطق والفكر واستخراج القوانين والبراهين فإنه يشارك كلا من المعادن والنبات والحيوان والملائكة في خواصها من حيث إن له طبائع أربعة وتقبل الإستحالة والتغير مثل الأركان الأربعة وله كون وفساد مثل المعادن ويتغذى وينمو كالنبات ويحس ويتحرك كالحيوان[٣].

ومن هنا يمكن تعريف الإنسان بأنه حي ناطق مائت.

---

(١) دراسات في الفلسفة الإسلامية د/ عبد اللطيف محمد العبد ص٢٢٤ مكتبة النهضة .

(٢) الرسائل ج ٤ ص ١٠٥ .

(٣) الرسائل ج١ ص ٣٠٦ .

ويعنون بالحى الناطق: النفس، وبالمائت: الجسد، لأن الإنسان جملة مجموعة منها وعلى هذا يرى إخوان الصفا أن صوره الإنسان هي أفضل الصور وأحسنها لأن الله تعالى خلقه في أحسن تقويم وهناك حكمة في حسن صورة الإنسان وهى الحفاظ على النسل بين البشر حتى لا يتعرض هؤلاء للإنقراض وهذا لا يمنع من وجود تفاوت بين الناس في هذه الصورة [١] .

وهناك حكمة فى تقدم وجود الحيوان على الإنسان وذلك ليتمكن من الإنتفاع بها لأنها جميعاً خلقت من أجله وإن أدون رتبة الإنسانية التي تلى الحيوانية هي رتبة الذين لا يعلمون إلا المحسوسات ولا يطلبون إلا صلاح الأجساد وزينة الدنيا، أما الرتبة العليا للإنسان فهى تلك الرتبة التي تلى رتبة الملائكة ولا يصل إليها إلا من انتبهت نفوسهم من الغفله بالعلوم والمعارف.

ولعل منطلق فلسفة الإنسان عند إخوان الصفا يبدأ من نظرتهم للكون وصدور الموجودات من الجواهر الأولى إلى الأمهات السفلية والطبائع الجسمانية[٢]، عن طريق الفيض من البارى جل ثناؤه.

فالعالم كله كما يرى إخوان الصفا جسم واحد متهيء لقبول الفيض من بارئه سبحانه، وأن كلمة الله تعالى متصلة به تمده بالإفاضة ليتم ويبقى في الوجود وأن أول فيضها اتحادها بالمبدع الأول وهو العقل الفعال ثم بواسطته إلى النفس الكلية وهي العقل المنفعل ثم بواسطة النفس الكلية إلى الهيولى الأولى ثم بواسطة الهيولى الأولى إلى الجسم المطلق ثم تنبت في العالم بأسره[٣].

---

(١) دراسات في الفلسفة الإسلامية ص ٢٢٥.

(٢) الرسائل ج ٤ ص ٢٠٤.

(٣) الرسالة الجامعة ج١ ص ٦٣٥ وما بعدها.

موقف إخوان الصفا من النفس الكلية:

يرى إخوان الصفا أن النفس الكلية - وهي في نظرهم صورة تحتوى على جميع الصور– هي التي تدبر الفلك المحيط بتأييد من العقل الكلى الفعال فهي ملك من الملائكة المقربين وكله الله تعالى بإدارة الأفلاك وحركات الكواكب وما تحت فلك القمر من سائر الأركان ومولداتها من المعادن والنبات والحيوان أجمع[١]

ومن ثم فالنفس الكلية هى نفس العالم بأسره ولهذه النفس قوتان:

١ - القوة الفعالة: وبها تتم الأجسام وتكملها بما تنقشه فيها من الصور والأشكال والهيئات والزينة والجمال

٢ - القوة العلامة: وبها تكمل النفس الكلية ذاتها بما يظهر من فضائلها من حد القوة إلى حد الفعل من العلوم الحقيقية والأخلاق الجميلة والآراء الصحيحة والأعمال الصالحة والصنائع المحكمة والمهن المتقنة[٢]

والنفس الكلية في عالم الجواهر الروحانية في نظر إخوان الصفا تقابلها في عالم الأجسام أو عالم الكون والفساد النفس الناطقه الإنسانية وهذه النفس تتمتع في عالمها بكافة خصائص وصفات ووظائف النفس الكلية وتستند هذه الفكرة في رأى إخوان الصفا على قوله تعالى للملائكة:﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾.

وما كان هذا الخليفه سوى الصورة البشرية المتمثله في آدم الذي علمه الأسماء كلها وأمره أن يعلم الملائكة الذين أمرهم بالسجود له[٣] .

ويرى إخوان الصفا أن آدم باعتباره أول خليفة استخلفه الله تعالى في

(١) الرسائل ج ٣ ص ٢٣٢.

(٢) نفس المرجع ج٣ ص ١٨٩، وانظر: الفلسفة السياسية عند إخوان الصفا ص٢٣٤

(٣) الرسالة الجامعة ح ١ ص ١٥٧ .

أرضه ما هو إلا صورة الإنسانية أو الإنسان المطلق الكلى وتلك الصورة باقيه منذ خلق الله تعالى آدم أبا البشر إلى يوم القيامة وإن كانت الاشخاص في الذهاب والمجيء وهذه الصورة باقيه في كافة ذرية آدم بصفتها الكلية لا الجزئية وذلك لسببين :

١- أن صورة آدم تحمل صورة كل من أتى من ولده ومن وجاء بعده من نسله.

٢- إن الإنسان المطلق أو البشرية بأكملها هو المطبوع على قبوله جميع الأخلاق وإظهار جميع الصنائع والأعمال لا الإنسان الجزئي.

وفي هذا الصدد يقولون: "وأعلم بأن كل الناس أشخاص لهذا الإنسان المطاق وهو الذي أشرنا إليه أنه خليفة الله في أرضه منذ يوم خلق آدم أبو البشر إلى يوم القيامه الكبرى، وهو النفس الكليه الإنسانية الموجودة في كل أشخاص الناس كما ذكر جل ثناؤه ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ وهو أى الإنسان المطلق – موجود في كل وقت و زمان ومع كل شخص من أشخاص البشر[(١)] .

ويتضح مما سبق أن إخوان الصفا يرون أن الإنسان عالم صغير وأن صورة الإنسان المطلق أو آدم يتمتع بكل الصفات والقوى التي تظهر منه في أفعاله وعلومه وأخلاقه وصنائعه، وأن هذه الصفات والقوى توزعت على كافة أفراد البشر من نسل آدم لكي تظل الصورة الإنسانية صورة البشر بأكملها – هي خليفة الله في أرضه وهي صورة واحدة وإن كانت أشخاصها كثيرة فإن حكم جميع الإشخاص في هذه الصورة كحكم جميع أعضاء بدن الإنسان الواحد لصورة نفسه وهي المتحكمه في جميع البدن على عضو عضو ومفصل مفصل وحاسة حاسة من يوم الولادة إلى يوم الفراق .

(١) الرسائل ح ١ ص ٣٠٦

المطلب الرابع

نظرية المعرفة عند إخوان الصفا

لقد تعرض إخوان الصفا لنظرية المعرفة كغيرهم من الفلاسفة السابقين، لكن كانت لهم فلسفة خاصة بهم في هذه النظرية فعندما تنظر مثلا إلى السوفسطائيين نجدهم قد ذهبوا إلى القول بأن الحس هو المصدر الوحيد للمعرفة، وذلك فالمعرفة عندهم تختلف من شخص إلى شخص ومن جماعة إلى جماعة فما يراه شخص حقاً فهو حق وإن رآه غيره على خلاف ذلك ومن هنا قالوا بانكار المعرفة الكلية والحقائق العامة لأن الحقيقة عندهم نسبية، ثم جاء من بعدهم الفيلسوف سقراط فعارض هذه النظرية المعتمدة على الحس فقط ورأى أن المعرفة تتكون من حقائق كلية يستخلصها العقل لا الحواس. ولما كان العقل عنصراً مشتركا لزم أن تكون الحقيقة عند شخص معين هي نفسها عند شخص آخر وهكذا.

وقد كان إخوان الصفا من بين الفلاسفة الذين عالجوا نظرية المعرفة بشيء من العمق وأفاضوا فى الحديث عنها، ومن هنا نراهم قد اتجهوا اتجاها أرسطيا في معالجة هذه النظرية إلا أن هذا لا يمنع أن لهم فكراً خاصاً بهم. فهم يرون أن أول ما يجب أن يبدأ الإنسان بمعرفته هو معرفة نفسه عملا بقوله تعالى:﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (١) وهم في هذا يتفقون مع الشعار الذي رفعه سقراط: أعرف نفسك بنفسك نجد ذلك واضحا في رسائلهم إذ يقولون:" أنه لا يحسن بنا أن ندعى معرفة حقائق هذه الأشياء ونحن لا نعرف أنفسنا، لأن مثل من يدعى معرفة حقائق الأشياء ولا يعرف نفسه كمثل من يطعم الناس وهو جائع وكمن يكسو غيره وهو عريان وكمن يداوى الناس وهو عليل، فقد علم أن الإنسان في مثل هذه الأشياء ينبغي له أن يبتدىء أولا

---

(١) سورة الذاريات الآية رقم ٢١ .

بنفسه ثم بغيره[١].

مما سبق يتضح لنا أن إخوان الصفا قد تأثروا بفلسفة أرسطو في معالجة هذه النظرية فقد ذهبوا إلى القول بأن أول ما يجب على الإنسان أن يعرفه هو نفسه لأن من لم يعرف نفسه ثم يدعى أنه يعرف حقائق الأمور فمثله كمثل الرجل الذى يطعم الآخرين وهو جائع وهذا الأمر غير متحقق لأن فاقد الشيء لا يعطيه ولكنهم اختلفوا مع أرسطو في الطريق الموصل إلى المعرفة لأن سقراط رأى أن المعرفة تتكون من حقائق كلية يستخلصها العقل لا الحواس كما سبق أن وضحنا، لكن إخوان الصفا لم تقتصر الأداة الموصلة إلى المعرفة عندهم على العقل وحده ولكنهم رأوا أن هناك وسائل أخرى تتحقق بها المعرفة بخلاف العقل وسوف نعرض هذه الرسائل عندهم من خلال رسائلهم.

وسائل المعرفة عند إخوان الصفاء:

تختلف وسائل المعرفة أو طرق المعرفة عند إخوان الصفا عن الوسائل عند غيرهم من الفلاسفة وذلك لأنهم نظروا إلى القاعدة الأساسية عندهم وهي معرفة النفس وقسموا هذه المعرفة إلى ثلاث.

الأولى: معرفة النفس لذاتها، الثانية: معرفة النفس لما دونها، والثالثة: معرفة النفس لما يعلوها في الرتبة، فأما معرفة النفس لذاتها فطريقها عندهم هو العقل، وأما معرفة النفس لما دونها فالطريق إليهاالحواس، وأما معرفة النفس لما يعلوها فى الرتبة فالطريق إليها البرهان ولذلك فهم يقولون: "ولما كانت النفس فى الرتبة الوسطى من الموجودات، وذلك لأن من الأشياء ما هو أعلى وأشرف من جوهر النفس كالبارى تعالى والعقل، ومنها ما هو أدنى من جوهر النفس كالهيولى والطبيعة والجسم فصارت معرفة النفس بالأشياء التي

---

(١) الرسائل ج ٤ ص ١٦٨

دونها في الشرف بطريق الحواس التي هي المباشرة والممارسة والمخالطة والإحاطة وأما ما كان أشرف منها وأعلى فصارت معرفتها لها بطريق البرهان ... وصارت معرفتها بذاتها وجوهرها بطريق العقل(١).

نخلص مما سبق أن وسائل المعرفة عند إخوان الصفا ثلاث وسائل هي الحواس والعقل والبرهان، وسوف نتكلم عن كل واحدة من هذه الوسائل بشيء من الايجاز.

أولا: الحواس:

يتفق إخوان الصفا مع السوفسطائيين في الاعتماد على الحواس باعتبارها موصلة إلى المعرفة ولكنهم اختلفوا معهم في القول بأن الحواس هي وحدها التي توصل إلى المعرفة.

فالحواس عند إخوان الصفا لا تخطيء، ومن ثم فهم يقسمون الأشياء التي تدرك بالحواس إلى قسمين، الأولى: مدركات بالذات والثانية: والثانية: مدركات بالعرض ويرون أن النوع الأول من المدركات لا يصيبه الخطأ، وأما النوع الثاني منها فهو عرضة للخطأ مالم يستوف شروطه وأركانه التي يحتاج إليها، يقول إخوان الصفا: "اعلم أن لكل حاسة مدركات بالذات ومدركات بالعرض وهى لا تخطيء فى مدركاتها التى لها بالذات وإنما يدخل عليها الخطأ والزلل فى المدركات التى لها بالعرض مثال ذلك البصر فإن الذي له من المدركات بالذات هى الأنوار والظلمة وهى التى لا تخطىءفى إدراكها فى جميع الأوقات البتة وأما إدراكها الألوان والأشكال والأوضاع والأبعاد والحركات وما شاكلها فهي تدركها بتوسط النور والضياء على الشرائط التي ذكرناها وقد يدخل عليها الخطأ والزلل في ذلك إذا نقصت الشرائط التي تحتاج إليها(٢) .

---

(١) الرسائل ج ٢ ص ٤١٤ وما بعدها .

(٢) الرسائل ح ٣ ص ٤٤١

وقد ذكر إخوان الصفا عدداً من النصوص في رسائلهم كأمثلة المعرفة الشروط التي تجعل المدركات التي تقع بالعرض بعيدة عن الوقوع في الخطأ أو الزلل نأخذ منها على سبيل المثال الشروط التي ذكروها للمبصرات حيث قالوا:

"القوة الباصرة إنها تحتاج فى إدراكها المبصرات إلى ضو ما وإلى بعد ما وإلى محازاة ما وإلى وضع ما فمتى عدم شيء منها عاقها ذلك عن إدراك المبصرات بحقائقها وذلك أنه لا يمكنها إدراك الضياء المفرط والنور الباهر كما لا يمكنها إدراك المبصرات فى الظلمة الظلماء وكذلك فإن الإنسان لا يمكنه النظر إلى عين الشمس نصف النهار في يوم صائف كما لا يمكنه رؤية الأشياء الصغيرة فى البعد الأبعد ولا فى القرب الأقرب إذا وضعت يده مثلا قرب الجفن[١] .

ولكن كيف تنقل الحواس المحسوسات حتى تصل بها إلى مدركات ؟

وللإجابة عن هذا السؤال نجد إخوان الصفا قد فسروا عمل الحواس تفسيراً سبقوا فيه عصرهم لأنهم رفضوا الرأى الذى كان سائدا أنذاك من أن الحواس تطلق شعاعات تنفذ فى الهواء وتدركها الأشياء حيث قالوا :" وقد ظن كثير من أهل العلم أن إدراك البصر للمبصرات إنما يكون بشعاعين يخرجان من العين وينفذان في الهواء وفي الأجسام المشعة ويدركان هذه المصرات، وهذا ظن من لا رياضة له بالأمور الروحانية ولا بالأمور الطبيعية ولو أرتاض فيها لبان له صحة ماقلنا[٢] .

وهم يفسرون عملية الأبصار تفسيراً يكاد يقترب من العلم الحديث حيث يقولون:" ثم اعلم أن الحدقتين هما من أحد الأجسام المشفة وهما مرآتا الجسد

---

(١) الرسائل ح ٤ ص ٢١٠

(٢) الرسائل ج ٢ ص ٤٠٩

وذلك أنهما رطبيتان مغطاتان بغشائيين شفافين وهما غشاء القرنية ويعرف هذا الأصل من كان خبيراً بصناعة الطب، فإذا سرى الضوء في الأجسام المشفة وحمل معه ألوان الأجسام الحاضرة واتصل بحدقتي الحيوان الحاضرة هناك وسرى فيهما كسريانه فى الأجسام المشفة بتلك الألوان كما ينطبع الهواء بالضياء فعند ذلك تحس القوة الباصرة بذلك التغيير فتؤدى خبره إلى القوة المتخيلية(١) .

وكل حاسة هي جزء من الجسد ولكن القوى الحساسة ليست من أجزاء النفس بل هى النفس بعينها وإنما وقعت عليها هذه الأسماء المختلفة من أجل اختلاف أفعالها وذلك لأنها إذا فعلت الإبصار سميت الباصرة وإذا فعلت الأسماع سميت السامعة ، وإذا فعلت الذوق سميت الذائقة، ووراء هذه القوى الحساسة قوى أخرى روحانية تقوم بتقبل رسوم المعلومات دون هيولاتها وهى المتخيلة و المفكرة والحافظة والناطقة(٢).

وإذا كانت الحواس عند إخوان الصفا فى الأبواب التي تنفذ منها المعارف إلا أنهم يرون أن الناس ليسوا كلهم سواء فى إدراك المعلومات عن طريق الحواس ولكنهم مختلفون بحسب اختلاف حواسهم، ثم يقرون بأنه لو لم يكن للإنسان حواس لما أمكنه أن يعلم شيئا لا المبرهنات ولا المعقولات ولا المحسوسات.

ثانياً: العقل:

من طرق ووسائل المعرفة عند الإخوان العقل، وللعقل عند إخوان الصفا أهمية كبرى باعتباره من مصادر المعرفة، ولكن ياترى هل يثقون به ثقة تجعلهم لا يشكون في أحكامه؟ أم أنهم وقفوا منه موقفاً كموقفهم من الحواس؟

ولتوضيح ذلك نجد إخوان الصفا يرون أن العقل لا يخلو من آفات

---

(١) الرسائل ج ٢ ص ٤١٠

(٢) الرسائل ج ٢ ص ٤٠٧

تعرض له فتجعل أحكامه عرضة للخطأ، ويذكرون هذه الآفات في النص التالي :

"فمن تلك الآفات الهوى الغالب نحو شيء ما، والعجب المفرط من المرء برأى نفسه، والكبر المانع عن قبول الحق، والحسد الدائم للأقران وأبناء الجنس، والحرص الشديد على طلب الشهوات والعجلة وقلة التثبت في الأمور، والبغض والعداوة عند الحكومة والخصومات والميل والتعصب لمن يهوى، والحمية الجاهلية عند الإفتخار، والأنفه من الإنقياد للطاعة، وحب الرئاسة من غير استحقاق وما شاكل هذه الآفات العارضة للعقلات المضلة لهم عن سنن الهدى المانعة عن الانتفاع بفضائل العقل و منافعه[١]

مما سبق يتضح لنا أن إخوان الصفا رغم اعتمادهم على العقل كطريق موصل إلى المعرفة إلا أنهم ذكروا شروطاً إذا توفرت في عقل ما وصل إلى المعرفة الحقة، أما إذا أختل شرط من الشروط فإن هذا يجعل الأحكام التي توصل إليها العقل عرضة للشك أو الزلل، ومن هنا فلا يمكن الثقة به والاطمئنان إلى أحكامه ومن هنا رأى إخوان الصفا أن الناس يتفاوتون في عقولهم تفاوتاً كبيراً ويذكرون عللا وأسباباً لهذا التفاوت وذلك من خلال هذا النص يقولون:

"ثم اعلم أن لتفاوت الناس في درجات عقولهم عللا شتى وأسباباً عدة. فمن إحدى تلاك العلل كثرة فضائل المعقول ومناقب العقلاء التي لا يحصى عددها إلى الله تعالى، ولا يمكن أن تجتمع تلك الفضائل في شخص واحد موفرة كما بينا من امتناع ارتياض النفس الواحدة بجميع أصناف العلوم مع قصر العمر واعتراض العوائق[٢].

---

(١) الرسائل ج ٣ ص ٤٥٨

(٢) الرسائل ج ٣ ص ٤٢٦

ثالثاً: من طرق المعرفة طريق البرهان:

بعد ذكر إخوان الصفا طريق الحواس وطريق العقل وجعلهما من الطرق الموصلة إلى المعرفة الحقة ذكروا هنا طريقاً آخر لها أطلقوا عليه اسم البرهان، وفي هذا يقولون:" والثالث طريق البرهان الذي ينفرد به قوم من العلماء دون غيرهم من الناس وتكون معرفتهم بها (أي المعلومات) بعد النظر في الرياضيات الهندسية(١).

إذا الطريق الثالث من طرق المعرفة عند إخوان الصفا ليس أمراً مشتركاً بين جميع الناس كما كانت نظرتهم إلى الحواس والعقل، ولكنه أمر قاصر على طائفة معينة أطلقوا عليها اسم طائفة العلماء وتتوفر المعارف عن هذا الطريق لمن ارتضت نفسه بالعلوم الرياضية والهندسية كما هو واضح من النص السابق، ويؤيد ذلك أيضا تصنيفهم لقوى النفس التى ترد على الإنسان في مراحل نموه المختلفة فهم يقولون: 'ثم ترد القوة الناطقة المعبرة لأسماء المحسوسات وتستأنف به تدبيراً آخر إلى تمام خمس عشرة سنة، ثم ترد القوة العاقلة المميزة لمعانى المحسوسات وتستأنف به تدبيراً آخر إلى تمام ثلاثين سنة، ثم ترد القوة الحكمية المستبصرة لمعاني المعقولات وتستأنف به تدبيراً آخر إلى تمام أربعين سنة، ثم ترد القوة الملكية المؤيدة وتستأنف به تدبيراً آخر إلى تمام خمسين سنة ثم ترد القوة، الناموسية الممهدة للمعاد المفارقة للهيولى وتستأنف به تدبيراً آخر إلى آخر العمر(٢).

مما سبق يتبين لنا أن إخوان الصفا قسموا الناس بحسب درجاتهم للمعرفة إلى مراتب ثلاث:

---

(١) الرسائل ج ٢ ص ٣١٧ .

(٢) الرسائلج ٣ ص ١٩٥ .

١ - المرتبة الأولى: مرتبة ذوى الصفائح وهي تضم الشبان الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة والثلاثين، ويعطى إخوان الصفا هذه الفئة عناية خاصة إذ أنهم أهل للتقبل وسرعة التصور وأنه ما بعث الله نبياً إلا وكان أول من أجابه إلى دعوته من الشباب ويضربون على ذلك مثلا بعلى بن أبي طالب كرم الله وجهه.

٢ - المرتبة الثانية: مرتبة الرؤساء ذوى السياسة وهم الذين تتراوح أعمارهم بين الثلاثين والأربعين ويشرفون على الفئة الأولى ويقومون بتوجيهها وإسداء النصح لها

٣ – مرتبة الملوك ذوى السلطان: وتتراوح أعمارهم بين الأربعين والخمسين وهؤلاء يمكن اعتبارهم أصحاب المعرفة البرهانية إذ أنهم يتولون القيام بدفع العناد والخلاف عند ظهور المعاند المخالف(١).

إذا فإخوان الصفا يخصون طريق البرهان لأصحاب المرتبة الثالثة الذين تتراوح أعمارهم بين الأربعين والخمسين والتي وصفت بأنها الملكية المؤيدة، والمعروف أن التأييد لا يكون إلا ببرهان، هذا ويصرح إخوان الصفا بأن قدرة الإنسان على المعرفة تقف عند حد المتوسطات فلا هو يستطيع أن يدرك عظائم الأشياء ولا هو يستطيع إدراك دقائقها ويسرى هذا على المعقولات والمحسوسات نستشهد على ذلك بجانب من نصوصهم: يقول إخوان الصفا: "وهكذا قوة عقل الإنسان متوسطة لا يقوى على تصور الأشياء المعقولة إلا ما كان متوسطا بين الطرفين من الجلاء والخفاء(٢) ...

أما عن نصوصهم التي تبين أن قدرة الإنسان تقف عند حد المتوسطات في المحسوسات نأخذ منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

---

(١) انظر: إخوان الصفا: د/ عماد الدين رجب ص ١٣٠ وما بعدها.

(٢) الرسائل ج ٣ ص ٢٢ .

يقول إخوان الصفا: "وهكذا حال قوة حواسه على إدراك المحسوسات فلا يحس منها إلا المتوسطات بين الطرفين وذلك لأن القوة الباصرة لا تقوى على إدراك الألوان في الظلمة الظلماء ولا على إدراكها في النور الباهر(١) .

وكذلك قولهم: "وهكذا القوة الذائقة والقوة الشامة والقوة اللامسة لا تقوى على إدراك محسوساتها إلا المتوسطات منها وذلك لأن الحر المفرط والبرد المفرط يفسدان المزاج ويخرجانه عن حد الاعتدال(٢).

وهكذا نرى أن إخوان الصفا سلكوا ملكا فلسفيا فى نظرية المعرفة فتناولوا الكثير من مسائلها في ثنايا مباحثهم الفلسفية وعالجوا معظم عناصرها بشيء من العمق والدقة والفهم إلا أن هذا لا يمنع القول بأن إخوان الصفا قد تأثروا بمن سبقهم من الفلاسفة فى هذه النظرية كأرسطو وأفلاطون وغيرهم من الفلاسفة وهذا لا غبار عليه لأنه وجد الابتكار عندهم بجانب التأثر بغيرهم، ويمكننا القول بأن فلسفتهم في هذا الجانب جمعت بين القديم والحديث.

صلة العلم بالنفس عند إخوان الصفا:

يرى إخوان الصفا أن للعلم صلة وثيقة بالنفس لأنه صورة المعلوم في نفس العالم وضده الجهل وهو عدم تلك الصورة من النفس وهناك فرق بين نفس العالم ونفس المتعلم فأنفس العلماء علامة بالفعل وأنفس المتعلمين علامة بالقوة وكل من التعلم والتعليم عبارة عن إخراج ما في القوة إلى الفعل فلا يكون علم إلا بعد تعلم وتعليم.

وتنال النفس المعلومات من طرق متعددة هى العقل والحواس والبرهان وقد تكلمنا عن هذه الطرق بشيء من التفصيل فيما سبق.

---

(١) الرسائل ح٣ ص ٢١

(٢) نفس المصدر ونفس الصحيفة المقال ..

ويرى إخوان الصفا: أنه إذا كان غذاء الجسد طعاماً وشراباً وبهما حياته وقوامه فإن الأنفس الجزئية تنمى بالمعرفة ذاتها وهي أيضا تقرب الإنسان من الكمال في صفة الانسانية فالعلم الحق أساس لتطهير النفس وإن معرفة الانسان بنفسه هي مفتاح جميع العلوم الحقيقية لأن الانسان مركب من نفس وجسد، والنفس أشرف من الجسد ولذا صار علم الانسان بجوهر النفس أشرف من علمه بجوهر الجسد حيث إنه فان والنفس باقية.

وقرن إخوان الصفا ذكر معرفة النفس بحقيقة العلم الباطني وهو العلم الحقيقى فى نظرهم بخلاف العلم الظاهر الذي هو متعلق الجسد والمحسوسات فالمعرفة بجوهر النفس تبدأ من الحس ثم تتدرج المعرفة بعد ذلك وتحتاج النفس إلى الجسد فى معرفة الأمور الجسمانية ويمكنها إدراك الأمور الروحانية بذاتها وجوهرها وليست المعقولات التى هى فى أوائل العقول الا رسوم المحسوسات الجزئية، ويتفاوت العقلاء تفاوتا كبيراً في معرفتهم الأشياء التي تعلم بأوائل العقول.

وما يعلم بأوائل العقول بعضه ظاهر وبعضه الآخر غامض قد يحتاج إلى تأمل قليل أو كثير، مثال الظاهر الكل أكثر من الجزء فهو لدى الحكماء ظاهر في أوائل العقول السليمة، ومثال ما يحتاج إلى تأمل قليل، أن الإشياء المختلفة إذا زيد عليها مقادير متساوية ظلت مختلفة ومثال الغامض الذي يحتاج إلى تأمل شديد، إذا كانت أربعة مقادير على نسبة واحدة فإن في الأول من أضعاف الثاني مثل ما في الثالث من أضعاف الرابع.

ومن القبح أن يدعى الانسان معرفة حقائق الأشياء وهو يجهل نفسه فيصبح مثل من يكسو غيره وهو عريان، ومن هنا وجب على الانسان أن يبحث حاله من جهات ثلاث : الجسد ثم النفس ثم الجملة المجموعة منهما وهم لهذا ينعون على الجهل والجهال ويخصون بالكلام الجاهلين بالله تعالى.

ويقرر إخوان الصفا أن النفوس البشرية متفاوتة الطباع في قبول العلم فهناك من تكون نفسه مطبوعة على محبة الصنائع أو البيع والشراء أو جمع المال والأثاث وادخارهما أو إنفاق المال أو عمارة الأرض أو الغناء أو الخصومة أو العبادة أو لقاء أهل العلم والأدب.

والحكمة البالغة هي أفضل أنواع العلم، وهي هبة من الله تعالى يعطيها لمن يشاء: ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ يعنون بذلك علم القرآن خاصة وتفسير آياته ومعانى أسراره وإشاراته اللطيفة، فهم بهذا يقصرون الحكمة البالغة على العلم الباطني بالقرآن ولذا فإن العالم يكون أقرب نسبة إلى الملائكة كلا تعمق فى فهم هذا الباطن.

ويوجد فارق بين علم الإنسان وعلم الملائكة، فعلم الإنسان محدود وهو أقل بكثير من علم الملائكة والمعرفة بالله تعالى تحتل قمة المعارف ويليها المعرفة بأمور الآخرة ولا تتم معرفة الإنسان بالله تعالى إلا بعد النجاة من آراء مخالفيهم من أهل الظاهر أو أهل السنة والجماعة الذين لا يعتبرون التأويل الباطني مثل إخوان الصفا.

ويصرح إخوان الصفا بأن هناك ما يسمى بالعلم اللدني وهو الذي يمكن حصوله للإنسان فقد توصل موسى عليه السلام إلى هذا النوع من العلم وذلك أنه في أربعين يوما قام الليل وصام النهار حتى صفت نفسه فناجاه المولى تعالى وكلمه، وقد رسم إخوان الصفا الطريق إلى هذا المسلك مطالبين الحكماء بأخذ تلاميذهم بذلك حتى ترقى نفوس هؤلاء التلاميذ ويصلوا إلى هذا النوع من العلم، ولا يكون ذلك إلا بمداومة العبادة والذكر شيئاً بعد شيء وينال الأولياء العلم اللدنى سواء أكانوا أنبياء أم غير أنبياء لأن الأولياء مصطفون من عند الله تعالى وهم يرون بعين البصيرة فالله تعالى صانع العالم ومحتجب عن أبصار الذين يجهلونه، وعلامة هؤلاء الأولياء الذين

أصلح الله قلوبهم وطهر أخلاقهم أنهم لا يضمرون لأحد من خلق الله سوءاً ولا يرون لهم على أحد فضلا، وهم أيضا صالحوا الخلق سراً وجهراً.

ويوجب إخوان الصفا أن يكون لأتباعهم يد في أي بلد مجلس علمى خاص يتذاكرون فيه العلوم ويتحاورون فيه حول أسرارهم وينبغي أن يدور البحث حول النفس وأسرار الكتب الإلهية وألا يهملوا النظر في الرياضيات وقد وضح إخوان الصفا مدى محبتهم للمعارف المختلفة بقولهم: " وبالجملة ينبغى لاخواننا أيدهم الله ألا يعادوا علما من العلوم، أو يهجروا كتابا من الكتب ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم جميعها(١).

ويكررون الوصية نفسها في الرسالة الجامعة فيحضون أحد رؤسائهم على أن يوصى الجماعة التي تأتمر بأمره بألا تهجر مصنفا من المصنفات الحكمية ولا رسالة من رسائل الأنبياء، وألا تبغض علما من العلوم الحقيقية وإن بعدت معانيها وصعبت إشارتها وتعذر البلوغ اليها(٢).

---

(١) الرسائل ح ٤ ص ١٠٥ .

(٢) الرسالة الجامعة ح ٢ ص ٤٠٣

المبحث الثالث

" فلسفتهم في الالوهية"

لقد تحدث إخوان الصفا فى نصوص متفرقة في رسائلهم عن الإله وعن تصورهم لهذا الإله فهم يقرون بوجود إله أوجد هذا العالم ويرعاه وأن وجوده أمر لا يمكن إنكاره أو الشك فيه، وهو مصدر كل خير وهو منزه عن الحركة والتغير والنقائص وهو تام الوجود كامل الفضائل عالما بالكائنات قبل كونها قادرا على إيجادها متى شاء وهو أزلى أبدى متصف بصفات الكمال، ويستدل إخوان الصفا على وجوده بهذا النظام الذي يتجلى فى الكون إذ لا يمكن أن يصدر اتفاقا يقول إخوان الصفا:

"إن الله تعالى لما كان تام الوجود كامل الفضائل عالما بالكائنات قبل كونها قادرا على إيجادها متى شاء لم يكن من الحكمة أن يحبس تلك الفضائل في ذاته فلا يجود بها ولا يفيضها فإذا بواجب الحكمة أفاض الجود والفضائل منه كما يفيض من عين الشمس النور والضياء [١]وفي نص آخر يقولون: " كذلك البارى جل ثناؤه أعطى الوجود لكل موجود وكما أنه بيبقاء الواحد بقاء العدد كذلك ببقاء الباري جل ثناؤه بقاء الموجودات و دوامها[٢] .

كذلك نجد إخوان الصفا ينزهون البارى تعالى تنزها بلغ بهم حد نفى الصورة عنه بحكم أن الصورة تستلزم القيام فى هيولى يقول إخوان الصفا: " وأما البارى تعالى فهو مبدع الجميع وخالق الكل فالمبدع لا يشبه المبدع وكذلك الخالق لا يشبه المخلوق والفاعل لا يشبه المفعول بوجه من الوجوه، وسبب من الأسباب ، فتبارك الله رب العالمين وأرحم الراحمين[٣].

---

(١) الرسائل ج ٣ ص ١٩٧.

(٢) الرسائل ج ٣ ص ١٩٨.

(٣) إخوان الصفا – جبور عبد النور ص ٢٥.

ولقد عرض إخوان الصفا للخلاف الذي وقع بين مفكري المسلمين في هذا الشأن والذى عرف فى تاريخ الفكر الفلسفي بمشكلة الصفات ولخصوا الآراء المختلفة فيما يلى:

١- رأى يرى أن الله في السماء فوق رؤوس الخلائق أو أنه فوق العرش في السموات يطلع على أهل السموات والأرض يعلم ما في ضمائرهم ولا تخفى عليه خافية من شئونهم .

٢- ورأى يرى أن الله شخص ذو صفات كثيرة ممدوحة وأفعال كثيرة متغيرة لا يشبهه أحد من خلقه.

٣- رأى يرى أن الله صورة روحانية سارية في جميع الموجودات حيثما كان لا يحويه زمان ولا مكان ولا يناله تغيير .

٤- ورأى يرى أن الله ليس بصورة وإنما هو نور بسيط من الأنوار الروحانية .

من خلال هذا التقسيم الذي ذكره جبور عبد النور وأدى به إلى القول بأن هذه الأقوال هي عبارة عن تلخيص لآراء مفكري المسلمين والذي عرف فى تاريخ الفكر الفلسفي بمشكلة الصفات أقول:

إن أحداً من مفكرى المسلمين لم يقل بأي من هذه الأقوال سواء كان من المتكلمين أو الفلاسفة الإسلاميين أو الصوفية الأمر الذي يجعلنا أن نقرر هنا إلى القول بأن هذه التقسيمات كانت من فكر وخيال كاتبها وجريا وراء عقيدته التي تصور أن الإله شخص ذو صفات كثيرة وهذا التصور تصور باطل لأن الله عز وجل منزه عن التركيب فهو تعالى ليس مركبا لأن المركب محتاج إلى أجزائه التي منها تركيبه والأجزاء غير المركب منها فلو كان تعالى مركبا من أجزاء لكان محتاجا في وجوده إلى غيره والإحتياج نقص والنقص على الله تعالى محال، وإذا كان تعالى غير مركب من أجزاء فإن

ذلك شامل للأجزاء العقلية أيضا.

ونفي التركيب في الواجب شامل لما يسمونه حقيقة عقلية أو خارجية، فلا يمكن للعقل أن يحاكي ذات الواجب بمركب فإن الأجزاء العقلية لا بد لها من منشأ في الخارج فلو تركبت الحقيقة العقلية لكانت الحقيقة مركبة في الخارج وإلا كان ما فيه حقيقة عقلية اعتبار كاذب الصدق لا حقيقة [١]

وإذا انتقى عنه التركيب فهو ليس بجسم - كما يصوره جبور عبد النور - إذ لو كان جسما لكان مركبا، والمركب محتاج إلى أجزائه وقد سبق بطلان ذلك.

وأما قوله بأن الله في السماء فوق رؤوس الخلائق فهذا أيضا زعم باطل وبهتان مبين لأن هذا لا يجوز أن يقال في حق الله عز وجل لأنه سبحانه وتعالى يستحيل عليه المكان ويجب تنزيهه تعالى عن الجهة فلا يقال هو فوق أو تحت أو أمام أو خلف أو يمين أو شمال لأن الجهات إما حدود المكان أو نفس المكان إذا أضيف إلى شيء فمثلا الدور الثاني في المنزل هو فوق بالإضافة إلى الدور الأول وهو تحت بالإضافة إلى الدور الثالث وهكذا، والمكان والجهة من لوازم الجسم فإذا بطل كونه تعالى جسما بطل اتصافه بشيء مما ذكر لأنه لو جاز أن يحل في مكان أو جهة للزم كونه متصفا بالحدوث وكلاهما محال عليه عز وجل وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وأما رفع الوجه إلى السماء عند الدعاء فهو أمر تعبدي لأن السماء قبلة الدعاء كما أن الكعبة قبلة الصلاة.

ولا يقبل إخوان الصفار أيا من هذه الآراء بل إن لهم رأيا خاصا بهم يتفق مع عقيدتهم ومبادئهم، فالبارى عندهم ليس بشخص ولا صورة بل هو واحد ذو قوة واحدة وأفعال كثيرة وهو الفائض منه وجود الموجودات وهو

---

(١) رسالة التوحيد: فضيلة الشيخ محمد عبده ص ٤٣ .

المظهر صور الكائنات فى الهيولى وهو موجود في كل شيء من غير المخالطة كوجود الواحد في كل عدد ومهما يكن من شيء فإن إخوان الصفا يرون أن الخوض في مسألة الذات والصفات من الأمور التي أدت إلى الخلاف بين المسلمين وأنه من الأليق عدم الخوض في هذا الموضوع.(١)

ومع ذلك فقد أورد إخوان الصفا بعض الصفات التي أسندوها للباري من أفهام المخلوقين وزعموا أنها واردة للتقريب من أفهام المخلوقات في ذلك يقولون : " اعلم أيها الأخ البار الرحيم أن صفات البارى جل جلاله بالتقريب من أفهام المخلوقين المنسوبة من أفعال الجسمانية .... مثل العلم والقدرة والإحاطة والحياة وما شاكل ذلك من الصفات. (٢)

ويقولون أيضا: أن صفات الباري التي لا يشركه فيها أحد من خلقه التي لا يعرف بها إلا هو أنه مبدع مخترع خالق مكون قادر عليم حي موجود مبدع قديم فاعل وأنه المعطى من جوده الوجود هذه الصفات(٣)

ويبدو موقف الاخوان من مشكلة الصفات غامضا بعض الشيء، ذلك لأننا لا نستطيع أن نقف عندهم على رأى محدد، فهم تارة يأخذون موقف النفاة وتارة يرددون ذكر بعض الصفات على أنها هبة البارى للوجود .

---

(١) رسالة التوحيد الشيخ محمد عبده ص ٤٧ .

(٢) الرسائل ج ٤ ص ٢٠٦ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٠٧ .

المبحث الرابع
فلسفتهم في النبوة

يرى إخوان الصفا أن الأنبياء لم يبعثوا لإصلاح الدنيا وحدها بل الإصلاح الدين معها، لكن أسمى هدف يسعى اليه الأنبياء هو تخليص النفوس من عالم الفساد لتصير إلى النجاة من الشقاء، وقد شبه إخوان الصفا الأنبياء والحكماء بالأطباء فكلاهما يجمعهما هدف واحد وإن اختلفت الشرائع والمفترضات والأزمان والأماكن، ويدللون على ذلك أن الجسد محتاج إلى من يحفظ عليه صحته أو يعيدها اليه إذا فقدها فكذلك النفوس محتاجة إلى من يداويها ويهذبها، ومن وجهة نظرهم كما أن غرض الأطباء هو حفظ الصحه على المريض مع أن أدويتهم مختلفة وطرقهم في العلاج متعددة، فكذلك الأنبياء غرضهم مداواة النفوس وتهذيبها(١).

لكن إخوان الصفا يفضلون دين الأنبياء على فلسفة الفلاسفة ذلك أن دينهم واحد، ومسلكهم جميعا مسلك واحد ومقصدهم مقصد واحد وغرض واحد، وإن اختلفت شرائعهم صلوات الله عليهم. (٢)

ويقولون عن منهج الفلاسفة :"وأما الفلاسفة فليست شريعتهم واحدة ولا دينهم واحد فكيف يرضى العاقل عن أسرار كتب الفلاسفة مع اختلافهم ويعرض عن البحث عن معرفة أسرار كتب الأنبياء عليهم السلام مع اتفاقها(٣).

ومن مظاهر اتحاد المقصد لدى الأنبياء أن كل نبي يقوم مقام آدم في تأديب ذريته وبسط دعوته، وعليه فإن الحكماء لم يصلوا بحكمتهم إلا إلى

---

(١) الرسائل ج٣ص ٤١ .

(٢) الرسائل ج ٢ ص ١٠.

(٣) الرسائل ج ٤ص ٢٧٠ .

إصلاح الجسد.

أما الأنبياء فإنهم أصلحوا النفوس حيث صححوا ما في طبيعتها من ميل إلى التدين فالدين مركوز في النفوس ولكن الإنسان قد ينحرف في اختياره الوسيلة مثلما اتخذ الكفار الأصنام، وفي ذلك إشارة إلى وجوب النبوة بالشرع لا بالعقل لأن إصلاح الناس هو الأساس في بعث الأنبياء وأن الوحدة النفسية أو القلبية هى أهم أهداف الأنبياء، فالنبي يبحث في نفوس الناس المودة والتآلف فيتحدون وتصير نفوسهم كنفس واحدة ويصبح هو الرأس المفكر لهم، ويعتبر الوحى عند إخوان الصفا من أشرف المواهب في الدنيا لأنه شيء يتعلق بالنفس دون الجسد فهو إنباء عن أمور غائبة عن الحواس يقدح في نفس الإنسان من غير قصد منه ولا تكلف، وقبول النفس للوحي يكون على ثلاثة أنواع هي:

أولا: ما يكون فى المنام عند ترك النفس استعمال الحواس.

ثانيا: ما يكون في اليقظة عند سكون الجوارح وهدوء الحواس.

ثالثا: استعمال صوت من غير رؤية شخص(١).

وقد أطلق إخوان الصفا على الوحى أنه السحر الحلال أو السحر العقلى، نظراً لأنه يجذب اليه النفوس ويسحر العقول، ولا يوجد شرف أعلى من شرف النبوة ، فهى أعلى درجة يصل اليها الإنسان في هذه الحياة.

وتستند النبوة إلى إنسان قوى يستطيع مواجهة الصعوبات التي تعترضه، وكان أولو العزم من الرسل مثلا عليا في تلك المواجهة وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وسيدنا محمد عليهم السلام جميعا.

وإنما كان النبي محتاجا إلى القوة ليواجه أيضا أهل الجدل الذين يمارون في الحق زوراً وبهتانا وفي هذا الشأن نراهم يقولون: " اعلم أن كل نبي بعثه

---

(١) الرسائل ج ٣ ص ٣٠ .

الله فأول من كذبه مشايخ قومه المتعاطون للفلسفة والنظر والجدل."[١]

وفي نظرهم أن دعوة النبي لا تجدى إلا إذا خاطب أمته باللغة التي يفهمونها وأن يستخدم كذلك الفاظا مشتركة ليفهم كل إنسان منها بحسب ما يحتمله عقله، وقد خص إخوان الصفا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بحديث معين عن فصاحته وإفهامه المعانى للناس عامة وخاصة مع ملاطفته وصبره عليهم فقد كان عليه السلام يجيب السائل بلغتهم وقد أرشد الناس وضرب لهم المعاني وجعل القرآن أكبر مصدر يتلقون منه تعاليم الدين بلسان فصيح.

الشروط التي يجب أن تتوافر في النبي:

يرى إخوان الصفا أن هناك شروطا يجب أن تتوافر في النبي، وقد عد هؤلاء هذه الشروط كما يلى:

١- ان يكون تام الاعضاء قوى العزائم لممارسة الاعمال التي من شأنها ان تكون بها .

٢- أن يكون جيد للفهم سريع التصور لكل ما يقال له ويلقى على سمعه.

٣- أن يكون جيد الحفظ لما يفهمه ولما يسمعه ولما يذكره فلا ينسي .

٤- أن يكون فطنا ذكيا ذا رأى يكفيه لتبيينأدنى دليل..

٥- أن يكون حسن العبارة بحيث يواتيه لسانه على ما في قلبه وضميره بأوجز الألفاظ.

٦- أن يكون محبا للعلم وللاستفادة سهل القبول له لا يؤلمه تعب العلم ولا يؤذيه الكد من أجله.

٧- أن يكون محبا للصدق وحسن المعاملة مقربا لأهله.

٨- أن يكون غير شره في الأكل والشرب مبغضا للذات.

(١) الرسائل ح٤ ص ١٣٦.

٩- أن يكون كبير النفس عالى الهمة محبا للكرامة تكبر نفسه بالطبع عن كل ما يشين من الأمور ويشنع، وتسمو همة نفسه إلى أرفع الأمور رتبة وأعلاها درجة.

١٠- أن يكون الدرهم والدينار وسائر أعراض الدنيا هينة عنده زاهدا فيها.

١١- أن يكون محبا للعدل وأهله مبغضا للجور والظلم وأهله يعطى النصفة لأهلها ويرثى لمن حل به الجور ويكون مواتيا لكل ما يرى حسنا جميلا عدلا غير صعب القياد ولا جموحا، وإن دعى إلى الجور والقبيح لا يجيب .

١٢- أن يكون قوى العزيمة على الشيء الذي يرى أنه ينبغي أن يفعل جسور مقداما غير خائف ولا ضعيف النفس(١).

ويرى إخوان الصفا أنه قد يقترن بظهور النبي معجزات تكون خيرا ورحمة على أهل دعوته كالخصب والنصر وقد تظهر معجزات فيها سخط وبلاء فتحل بمن كذب النبي مثلما حل بقوم نوح من الطوفان وما حدث لفرعون من الغرق، وبذلك تكون المعجزات مختصة بالنبي وحده وتنزل المعجزات بحسب ما تحتمل طاقات البشر وبحسب الاحتجاج اى بمقدار الاعذار والانذار وليس الهدف منها إبادة الأمم من أول مرة وإلا كانت بعثة الأنبياء انتقاما لا رحمة، وإذا كان الأنبياء مؤيدون بالمعجزات فقد حرم الله عليهم السحر فلم يحدث أن استخدمه نبي لأنهم المثل الأعلى فلو فعلوه لاقتدينا بهم تماما وما أبعدهم عن المكر الناتج عن السحر وكذلك ما أبعدهم عن الخداع والحيل البشرية فحسبهم تأييد الله تعالى لهم وحيا والهاما(٢).

---

(١) انظر فى ذلك: رسائل إخوان الصفا ح ١ ص ٩٧ ، ج ٣ ص ٣٦٠ ،ج٤ ص ١٢٥، ١٧٨ .

(٢) إخوان الصفا ص ٢٣٦ مرجع سابق .

المبحث الخامس

التوفيق بين الدين والفلسفة عند إخوان الصفا

من أهم الأسس والمبادىء التي قامت عليها فلسفة إخوان الصفا مسألة التوفيق بين الدين والفلسفة أو بمعنى آخر التوفيق بين الظاهر والباطن، أي استخدام الظاهر للوصول إلى المعنى الباطن المستتر.

وذلك لأن إخوان الصفا يرون أن الهدف من الشريعة هو نفس الهدف من الفلسفة ويتضح ذلك من قولهم:

"إعلم أن العلوم الحكمية والشريعة النبوية كلاهما أمران آلهيان يتفقان في الغرض المقصود منها الذى هو الأصل ويختلفان في الفروع فإذا كانت الفلسفة تهدف إلى تهذيب النفس والترقى من حال النقص إلى حال الكمال والخروج من حد القوة إلى حد الفعل بالظهور لتنال بذلك البقاء والدوام والخلود، فإن الغرض من النبوة والناموس هو تهذيب النفس الإنسانية وإصلاحها وتخليصها من جهنم لتصير في الجنة، وإذا كان هذا هو هدف كل من الشريعة والفلسفة إلا أن لكل منها طريقها المختلف لتحقيق المقصود وسبب إختلافها في نظر إخوان الصفا: الطبائع المختلفة والأعراض المتغايرة التي عرضت للنفوس فترتب على ذلك إختلاف موضوعات الشرائع والديانات لكي تتلاءم مع هذه الطبائع المختلفة في الأزمنة المختلفة كما اختلفت عقاقير الأطباء وعلاجها بحسب إختلاف الأمراض العارضة للأجساد من الآلام والأوجاع وبحسب إختلاف الأزمنة والأمكنة[(١)]

وإذا كانت هناك من فوارق بين صاحب الشريعة وبين الفيلسوف فإن إخوان الصفا يرون أن هذه الفوارق شكلية فقط ولا يمكن أن تكون هناك فوارق فى المضمون وفى ذلك نراهم يقولون:" فصاحب الشريعة لا ينسب

(١) انظر الرسائل ج ٣ ص ٣٠ والرسالة الجامعة ج ٢ ص ٢٨٢

إلى رأيه واجتهاده وقوته شيئا مما يقول ويفعل ويأمر وينهى فى وضع الشريعة لكنه ينسبها إلى الواسطة التى بينه وبين ربه من الملائكة التى توحى إليه فى أوقات غير معلومة، أما الحكماء والفلاسفة إذا استخرجوا علما من العلوم أو صنعة من الصنائع أو ديروا سياسة نسبوا ذلك إلى قوة انفسهم واجتهادهم وجودة رأيهم وفحصهم وبحثهم[١].

ولكن كلا من النبي والفيلسوف ليس إلا أحد النفوس الجزئية التي تصورت بصورة النفس الكلية أو قاربتها وذلك بحسب قبولها ما يفيض عليها من العلوم والمعارف والأخلاق الجميلة، وكلما كانت أكثر قبولا كانت أفضل وأشرف من سائر أبناء جنسها[٢] .

ولما كان هدف كل من الدين والفلسفة هدف واحد في نظر إخوان الصفا فقد قام مذهبهم على أساس الجمع بين الشريعة والفلسفة، ومن ثم مجدوا الفلسفة الممزوجة بالشريعة ووضعوا الحكماء والكهنة في مصاف الأنبياء والرسل، حيث استشهدوا في المسألة الواحدة بأحاديث الرسل وأحاديث الفلاسفة أمثال سقراط وأفلاطون وفيثاغورث وغيرهم[٣] .

وقد علق أحد الباحثين على مسألة التوفيق بين الدين والفلسفة عند إخوان الصفا بقوله :

" إن رسائل إخوان الصفا تقدم الآراء الذكية للفيلسوف باعتباره منسجم مع الدين فى حقيقته الأصيلة كما يفصح عن ذلك المعنى الخفى (الباطن) بمعنى أن البحث الفلسفي عند إخوان الصفا ينبنى أن ينسلك فى المعنى الباطني للقانون الديني[٤].

---

(١) الرسائل ح ٤ ص ١٣٦ .

(٢) الرسائل ح٢ ص ٢١٠ .

(٣) الفلسفة السياسية عند إخوان الصفار ص ٢١٩ .

(٤) لويس جارديه التوفيق بين الدين والفلسفة عند الفارابي ص ١١٨ .

الشريعة مقدمة على الفلسفة عند إخوان الصفا:

إذا كان إخوان الصفا قد ذهبوا إلى القول بالتوفيق بين الدين والفلسفة وأن غرض كل منها واحد وإن اختلفت الوسائل إلا أنهم يرون أن الشريعة مقدمة على الفلسفة حيث يرون أن العبادة الشرعية شرطا للعبادة الفلسفية وفي هذا نراهم يقولون:

"أما العبادتان فإحداهما الشرعية الناموسية بإتباع صاحب الناموس والإنقياد إلى أوامره ونواهيه، وأما العيادة الفلسفية الإلهية وهي الإقرار بتوحيد الله عز وجل فاعلم يا أخى أنك متى كنت مقصراً في العبادة الشرعية فلا يجب لك أن تتعرض لشيء من العبادة الفلسفية .. وأعلم أيها الأخ أن جماعة إخوان الصفا أحق الناس بالعبادة الشرعية وأحق الناس أيضا بالعيادة الفلسفية الإلهية [(١)].

ومن ثم جعل إخوان الصفا الفلسفة في مرتبة تالية للشريعة إذ أن الفلسفة في نظرهم أشرف الصنائع البشرية بعد النبوة، وبناء على هذه الفكرة هاجم إخوان الصفا المتفلسفين الذين ينكرون الشرائع أو يهملون أداء فروضها والعمل بأحكامها ووصفوهم بأنهم شياطين الإنس والجن[(٢)].

كما ذهب الإخوان أيضا إلى أن هناك بعض الأمور التي لا يستطيع عقل الإنسان معرفتها أو إدراكها إلا عن طريق الوحي، أى عن طريق الشرائع التي يأتي بها الأنبياء[(٣)].

---

(١) الرسائل ح ٤ ص ٢٦٤.

(٢) الرسائل ح ٣ ص ١٢.

(٣) الرسائل ج٣ ص ٢٣ وانظر الفلسفة السياسية عند إخوان الصفا ص ٢٢٠.

الظاهر والباطن عند إخوان الصفا:

يرى إخوان الصفا أن لكل شيء ظاهر و باطن، فالموجودات التي خلقها الله بعضها ظاهر جلي لا يخفى وبعضها باطنى خفى لا تدركه الحواس وذلك لأنهم يرون أن الناس يتفاوتون من ناحية إدراكهم العقلي للأمور وفي ذلك يقولون:

" لقد كان من الصعب على الأنبياء أن يذكروا بعض الحقائق التي يدق – يصعب – على العامة بسبب ضعف عقولهم لهذا جاءت الألفاظ مشتركة المعاني ليحمل كل ذي لب وعقل وتمييز بحسب طاقته وإتساعه في المعارف(١).

ومن ثم عمل الأنبياء على إخفاء الأسرار عن العامة والجهال لأن أكثر كلام الله تعالى وكلام أنبيائه وأقاويل الحكماء رمز لسر من الأسرار مخفيا عن الأشرار وما يعلمها إلا الله تعالى والراسخون في العلم، وذلك أن القلوب والخواطر ما كانت تحمل فهم معانى ذلك، فلهذا الغرض ألبسوا حقائق الأشياء بلباس غير ما يليق بذلك حسب فهم عامة البشر ولكن الخواص والحكماء يعلمون الغرض والحقيقة في ذلك .

ويفهم من هذا القول أن الحقائق التي لا يعلمها إلا الخاصة غلفت بغلاف ظاهري ليفهمها العامة بظاهرها وهو المفهوم الذي عرف بفلسفة الظاهر والباطن.

فما من شيء عند إخوان الصفا إلا وله ظاهر وباطن، الإنسان والكواكب والحواس وأحكام الشرائع والكتب السماوية حتى أن رسائلهم لها ظاهر وباطن، نأخذ على سبيل المثال لا الحصر نوعا واحداً من هذه المخلوقات التي يرى إخوان الصفا أن لها ظاهراً وباطنا . فالإنسان نفسه

(١) الرسائل ج ٣ ص ٢٩٩

مكون من جسم ظاهر كالقشرة ونفس باطنه خفيه كاللب والحوادث التي هي المخلوقات في عالم الكون والفساد منها ما هى ظاهرة جلية لكل إنسان ومنها ما هي باطنة خفية تحتاج فى معرفتها إلى تأمل وفكر واعتبار [١].

وعلى هذا فقس بقية المخلوقات وجميع الأشياء ، والظاهر عند إخوان الصفا ستر للباطن ولا يجب الوقوف عند الظاهر لأن الظاهر لم يوضع إلا من أجل الباطن ومن ثم هاجم إخوان الصفا كل من تعلق بظواهر الأمور وأهمل معرفة حقائقها وبواطنها ومعانى إشاراتها ومرامي مرموزاتها لأنه إذا فعل ذلك فإنه يكون قد علق بما لا ينفعه وكان مثل جسم بغير روح[٢] .

وقد أطلق إخوان الصفا على أهل الظاهر هؤلاء لقب (علماء العامة، ووسموه بالكفر والجهل والظلم وفساد الرأى والاعتقاد وسوء القول[٣].

وبالرغم من وصف إخوان الصفا لهؤلاء الذين يأخذون بالظاهر بأنهم جهلة وفسقه إلا أنهم مع ذلك يرون أن للظاهر قيمة وأهمية لا يمكن أن تنكر بحال من الأحوال لأن إتقان المعرفة بالظاهر هي السبيل لمعرفة الباطن وفي ذلك يقولون:

"إن الحكماء الأولين لما نظروا إلى الأشياء الظاهرة بأبصار عيونهم وشاهدوا الأمور الجلية بحواسهم تفكروا عند ذلك في معانى بواطنها بعقولهم وبحثوا عن خفيات الأمور برؤيتهم وأدركوا حقائق الموجودات بتمييز هم [٤].

والظاهر والباطن كل منهما يكمل الآخر، ويضرب إخوان الصفا بالشرائع مثلا لذلك ففى إستعمال أحكامها الظاهرة فى رأيهم وصلاح للمستعملين فيه دنياهم ، وفى معرفتهم أسرارها الخفية و" صلاح لهم في أمر

---

(١) الرسالة الجامعة ح ٣ص ٢٥٣

(٢) الرسالة الجامعة ح١ ص ٦٣٥

(٣) العقيدة والشريعة في الإسلام - جولد تسيهر ص ٢٤١

(٤) الرسائل ج ١ ص ٢٠٤

معادهم و آخرتهم "[١] .

فظواهر الشرائع أجسام، وعلومها وتأويلاتها أرواح، وأنه لا قوام للأرواح إلا بالأجسام ولا قوام للأجسام إلا بالأرواح.

ويؤكد إخوان الصفا فكرة إرتباط الظاهر بالباطن في موضع آخر بقولهم:

' ومن أقبل على ظاهر الشريعة دون باطنها كان ذا جسم بغير روح ناقص الآلة ومن كان مقبلا على العلوم الحقيقية والآراء العقلية وهو متغافل عن إقامة الظواهر الشرعية والسنن التكليفية فهو ذو روح تعرت من جسدها وفارقت كسوتها الساترة لصورتها فيوشك أن تنكشف سوءته و تنتهك في العالم عورته إذا خرج بصورته المجردة في غير أو انها[٢] .

وإتماما للفائدة يبقى معنا سؤال يطرح نفسه على ساحة البحث وهو : هل نجح إخوان الصفا في محاولتهم للتوفيق بين الدين والفلسفة ؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول :

إن هذه المحاولة من جانب إخوان الصفا للتوفيق بين الدين والفلسفة لم تثمر ثمارها المرجوة منها، يقول أبي سليمان المنطقي السجستاني:[٣] تعبوا وما أغنوا ونصبوا وما أجدوا وحاموا وما وردوا وظنوا مالا يكون ولا يمكن ولا يستطاع، ظنوا أنهم يمكنهم أن يدرسوا الفلسفة في الشريعة وأن يضموا الشريعة للفلسفة وهذا مرام دون حدود، وقد توفر على هذا قبل هؤلاء قوم كانوا أحد أنيابا وأحضر أسبابا فلم يتم لهم ما أرادوه ولا بلغوا منه ما أملوه،

---

(١) الرسائل ج٤ ص ١٣٨

(٢) الرسالة الجامعة ح١ ص ٦٤٠

(٣) محمد بن بهرام ، أبي سليمان المنطق السجستاني – أستاذ أبو حيان التوحيدي وهو فيلسوف عاش في القرن الرابع الهجري و توفى سنة ٣٧١هـــ

وحصلوا على لو ثات قبيحة ولطخات فاضحة وألقاب موحشة، وعواقب مخزية وأوزار مثقلة، فالشريعة مأخوذة عن الله عز وجل بوساطة السفير بينه وبين الحق من طريق الوحي وشهادة الآيات وظهور المعجزات[١] .

ومن ثم فان إخوان الصفا بدل أن يزنوا الشريعة بميزان العقل لم يفعلوا إلا أن خلطوا الدين بخرافات الفلسفة وأساطيرها.

وقد أورد أبو حيان التوحيدي أيضا ردا مفحما لإخوان الصفا بين فيه مدى التناقض الذي وقعت فيه هذه الجماعة حين خلطوا الدين بالفلسفة وفي ذلك نراه يقول:

"وأما قولكم بأن الفلسفة خاصة والشريعة عامة فكلام ساقط لا نور عليه لأنكم تشيرون به إلى أن الشريعة يعتقدها قوم وهم العامة، والفلسفة ينتحلها قوم وهم الخاصة فلم جمعتم رسائل إخوان الصفا ودعوتم الناس إلى الشريعة وهي لا تلزم إلا للعامة ؟ ولم تقولون للناس من احب أن يكون من العامة فليتحلى بالشريعة ؟ فقد ناقصتم أنفسكم لأنكم حشوتم مقالتكم بآيات من كتاب الله تزعمون بها أن الفلسفة مدلول عليا بالشريعة ثم الشريعة مدلول عليها بالمعرفة، ثم هاأنتم تذكرون أن هذه الخاصة و تلك العامة، فلم جمعتم بين مفترقين ومزقتم بين مجتمعين ؟

هذا والله الجهل المبين والخرق المشين [٢].

لقد تزيد دعاة إخوان الصفا تزيدا شديدا حين ظنوا أنهم قادرون على صهر الشريعة الإسلامية في بوتقة الفكر البشرى أو إحتوائها مما هو من المستحيلات، لاختلاف المنهج والاتجاه والقيم الأساسية التي يفرق بينها فارق واحد هو التوحيد ، طابع الإسلام ، العميق الجذور.

ومن خلال مراجعة أرائهم يتبين فسادها وضعفها وعجزها عن إرضاء

(١) الإمتاع والمؤانسة أبو حيان التوحيدي ص ٦٠٧

(٢) الإمتاع والمؤانسة أبو حيان التوحيدي ح ٣ ص ١٣

العقل الإنساني أو النفس الإنسانية، لبعدها عن الفطرة ومعارضتها للمزاج الإسلامي والروح الأصيل والذات البشرية(١).

وقد صور بطرس البستاني تضارب آراء إخوان الصفا فقال إنها آراء متراجفة مفككة فيها عود وتكرار ومزج غريب اختلطت فيه الفلسفة التقليدية والعلوم الرياضية والطبيعية بخرافات السحر والتنجيم.(٢)

لقد كشفت الدراسات المختلفة عن حقيقة إخوان الصفا من زيف القناع الذي وضعه هؤلاء الدعاة من الجماعة السرية على هدفهم السياسي ليظهروا أمام الناس على أنهم من أهل الفكر الخالص وأبانت عن مقاصدهم وعن حقيقة إنتساب أفكارهم وأبرز ما تكشف عنه شعوبيتهم ومحاولتهم لهدم المقومات الأساسية للإسلام، هذا الخلط العجيب المقصود بين أنبياء الله المرسلين وبين أمثال اليزدان وغازيمون وأرسطو وأفلاطون ومحاولة خلق نسب واحد لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ونبي الله موسى ونبي الله عيسى عليهم السلام مع هؤلاء يخرج بهم عن حقيقة أساسية هي أنهم رسل الله المؤيدون بالوحي والمنزل عليهم الكتاب، والذين يحملون الفكر الإنساني الرباني المصدر المعارض تمام المعارضة للفكر البشرى الوثني المضطرب(٣).

وأشار الدكتور جبور عبد النور إلى إتسام رسائلهم بالنقمة على الدولة الإسلامية والسعى إلى تحطيمها وكشف عن أن كتاباتهم تبرز مفاهيم الباطنية والإسماعيلية والفيثاغورية والأفلاطونية والمجوسية جميعا في خلط على غير وفاق وأن في نصوصهم فقرات كثيرة ولكنها مموهة تشير إلى أن في قرارة

---

(١) الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة، أنور الجندي ص ١١٨ دار الكتاب اللبناني

(٢) مقدمة رسائل إخوان الصفاء بطرس البستاني ص ١٤.

(٣) الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص ١٢٠ م .

نفوسهم ميلا إلى الوثنية وأنهم حين يوازنون بين الأديان السماوية وبين الأديان الأرضية يسرفون في تمجيد مفاهيم الأديان الأرضية إسرافا واضحا[١].

ومن الحق أن يقال إن وقائع التاريخ أثبتت فشل هذه الدعوة وإخفاقها وعجزها عن تحقيق نظام أو عقيدة أو منهج أو أن تنشيء مجتمعاً يقوم على أساسها لأنها خالفت جوهر الفطرة ونهج التوحيد الذي قام عليه الإسلام وقد أكدت التجارب عجز أية محاولة من محاولات الفكر البشرى بعد نزول الإسلام عن تحقيق تصور فكرى أو منهج عملى ترتضيه الجماعة الإسلامية أو الإنسانية بعامة، كما أكدت عجز المحاولات المتصلة عن دمج الفكر الإسلامى القائم على التوحيد أو تذويبه أو احتوائه داخل أي فلسفة، وقد تحقق عجزهم الكامل عن مثل هذه المزاوجة أو التذويب بين فكر قائم على التوحيد الخالص فيه الفطرة ورسالة السماء معا وبين مثل هذه الأفكار البشرية المتضاربة القائمة على الوثنية والتعدد، لقد فشلت هذه المحاولة كما فشلت كل المحاولات التي سبقتها في خلط الإسلام بغيره أو إضافة أجزاء منه إلى مذاهب وفلسفات أخرى.

وأستطاع الإسلام أن يكشف عن ذاتية أصيلة تقبل الانصهار داخلها دون أن تنصهر هى فى أى فكر أو تذوب في أي دعوة أخرى، وقد أعطتها أصالة تشكيلها وتركيبها قدرة على الاحتفاظ بجوهرها حتى في أشد الفترات ضعفا[٢] .

كل هذا يدل على أن إخوان الصفا حينما أرادوا التوفيق بين الدين والفلسفة لم يوفقوا كل التوفيق والسبب في ذلك أنهم جعلوا للدين جانبا

---

(١) إخوان الصفاد / جبور عبد النور ص ٢٧ ط دار المعارف بمصر .

(٢) الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص ١٢٢.

والفلسفة جانبا آخر، لأن الفلسفة في نظرهم قاصرة على الخاصة فقط وأما الشريعة فهي للعامة.

وعلى أية حال سواء وصل هؤلاء إلى النجاح أو الفشل في محاولتهم هذه فإن هذا لا يمنع مطلقا أن لهم فلسفة خاصة بهم.

هذا والله التوفيق

الخاتمة

وتشتمل على النتائج المستخلصة من البحث:

الآن وقد بلغ البحث غايته فلابد لنا من وقفة أخيرة نستجمع حصاده وتستقطب في تركيزه أبرز المعالم الفكرية التي انتهى إليها، هذا وقد أسفر البحث عن المعالم الأساسية الآتية:

أولا: اختلاف العلماء والباحثين حول نشأة جماعة إخوان الصفا وزمانهم ومكانهم ونسبتهم إلى طائفة الشيعة الإسماعيلية أو عدمها.

ثانياً: إن دراسة رسائل إخوان الصفا لم تكن يوماً من الأمور السهلة في تاريخنا العربي، فهذا الموضوع ظل الشغل الشاغل لكثير من الباحثين المستشرقين والعلماء لأن هذه الطائفة أصابها الغموض والتستر فأدى ذلك إلى أن يدلو كل باحث بدلوه في هذا الموضوع ليخرج من خلاله بحثه بنتيجة مرضية.

ثالثاً: تعد رسائل إخوان الصفا أغزر مادة علمية فلسفية وموسوعة فكرية حافلة بشتى العلوم والمعارف من فلك ورياضيات وهندسة وطب وغيرها الكثير من العلوم.

رابعاً: يذكر إخوان الصفا أن اسمهم مأخوذ من صفوة الأخوة وهم بذلك يمنحون لانفسهم ألقابا يدل ظاهرها على أنها الصفوة المختارة في حين أثبتت الدراسة انتماء هذه الطائفة إلى الشيعة الإسماعيلية، وهذا يدل على أن الاسم الذي يدعونه لأنفسهم لم يكن مطابقاً لمبادئهم وعقائدهم كما عرفنا من خلال عرضنا لهذه القضايا .

خامسًا: وجود علاقة قوية بين إخوان الصفا وفرق الإسماعيلية حيث إن جميع الشواهد التاريخية والفكرية التى ملئت بها الوسائل تؤيد هذه العلاقة وتدل عليها.

سادساً: تتكون رسائل إخوان الصفا من اثنتين وخمسين رسالة مقسمة إلى

أربعة أقسام: الرسائل الرياضية، والرسائل الطبيعية، والرسائل الفلسفية، والرسائل الشرعية.

سابعاً: الغموض الشامل لكل الأشخاص الذين تنسب إليهم الرسائل مما يدل على أن هؤلاء الأشخاص تحوم حولهم الريبة والشك، وبالتالى يوصلنا الشك حول نسبة هذه الرسائل إلى هؤلاء الأشخاص.

ثامناً: يدعى إخوان الصفا أن الباعث الأول الذي دعاهم إلى التآلف والتصافي والعمل هو أن الشريعة دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة.

تاسعاً: تبين من البحث والدراسة ميول إخوان الصفا للباطنية وإن كانوا لم يصرحوا بها في رسائلهم إلا مموهة وبأسلوب رمزى يحتمل التأويلات المختلفة.

عاشراً: وضح لنا من البحث كذلك بعد نظر إخوان الصفا في بث دعوتهم فى مختلف الطبقات لتعميم أرائهم وعقائدهم حيث رأينا أن هذه الجماعة تألفت من أربع طبقات- طبقة الشباب وطبقة الرؤساء ذوى السياسات وطبقة الملوك والطبقة العليا.

الحادي عشر: تكلم إخوان الصفا عن فكرة الخلق ورأوا القول بالفيض، ولاشك أن نظرية الفيض توحى لمن يتدبرها بأن هذا العالم قديم وقد تعرض القائلون بالفيض لتهمة الإلحاد من أهل السنة والجماعة . .

الثاني عشر: تعرض إخوان الصفا في رسائلهم لقضية الوجود وكانت فلسفة خاصة بالإنسان باعتباره عالماً صغيراً، وقد خصصوا رسالة للحديث عنه.

الثالث عشر: تكلم إخوان الصفا عن نظرية المعرفة كغيرهم من الفلاسفة السابقين ولكنهم عالجوا هذه النظرية بشيء من العمق مع أنهم تأثروا

فى علاج هذه القضية بأفكار وآراء الفلاسفة السابقين.

الرابع عشر: تحدث إخوان الصفا في نصوص متفرقة من رسائلهم عن الآله وعن تصورهم للإله حيث أنهم يقرون بوجود اله أوجد هذا العالم ويرعاه وأنه مصدر كل خير وهو منزه عن الحركة والتغيير والنقائص.

الخامس عشر: حاول إخوان الصفا التوفيق بين الدين والفلسفة إلا أن محاولتهم هذه لم تثمر ثمرها وذلك لأن هناك تفاوتا كبيراً في أصل كل منهما فالدين أساسه وعماده الوحى والشرع، أما الفلسفة فقوامها العقل والأحكام العقلية متفاوتة مضطربة قابلة للزيادة والنقصان والقوة والضعف بخلاف أوامر الشرع فإنها ثابتة باقية إلى أن يشاء الله.

السادس عشر: يعتز إخوان الصفا برسائلهم اعتزازا فائق الحد فيتصورون على أنها بستان أخضر بهيج، وعلى الرغم من ذلك فقد حاول البعض من الكتاب والباحثين أن يوجه إلى الرسائل النقد الشديد.

هذا ما تيسر لي من البحث والدراسة لهذا الموضوع، فإن كنت قد وفقت فيه فالفضل لله عز وجل أولا وأخيراً، وما توفيق الا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وإن كانت الأخرى فحسبي أني بشر يصيب ويخطى. والكمال الله وحده.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على سيد الخلق سيدنا محمد

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن سينا في مرابع إخوان الصفا د/ عارف تامرط بيروت.
- إخوان الصفا د / جبور عبد النور ط دار المعارف.
- د/ جميل صليبا / ط دائرة المعارف اللبنانية بيروت.
- أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ط / مطبعة السعادة القاهرة
- إخوان الصفا د/ عمر الدسوقى/ ط دار نهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة
- إخوان الصفاد/ مصطفى غالب /ط دار مكتبة الهلال بيروت.
- أعلام الفلسفة العربية/ كمال اليازجي ،وأنطون غطاس كرم ط بيروت
- العباسيون الأوائل د/ فاروق عمر /ط بيروت.
- الجانب الإلهى من التفكير الإسلامي د/ محمد البهي.
- الحركات الباطنية فى العالم الإسلامي د/ محمد أحمد الخطيب /ط مكتبة الأقصى عمان .
- التوفيق بين الدين والفلسفة عند الفارابي – لويس جارديه.
- الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة– أنور الجندى ط –الكتاب اللبناني.
- الإسماعيليون في المرحلة القرمطية للأستاذ سامى عياش ط /بيروت.
- العقيدة والشريعة في الإسلام – جولد تسهير د / محمد ترجمة ىوسف موسى و آخرىن ط دار الكتب الحديثة القاهرة.
- الفلسفة السياسية عند إخوان الصفا د/ محمد فريد حجاب ط الهيئة المصرية العامة للكتاب
- الفهرست لابن النديم ط / بيروت.
- الإمتاع والمؤانسة أبو حيان التوحيدي .

- المنقذ من الضلال للإمام الغزالي .
- الملل والنحل للشهرستاني.
- تاريخ الحركات الفكرية فى الإسلام بندلى جوزى – ط /بيروت.
- تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون د / عمر فروخ ط / بيروت.
- تاريخ الفلسفة الإسلامية د/ ماجد فخرى ترجمة د/ كمال اليازجي طبعة الدار المتحدة في بيروت .
- تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، ترجمة د/ محمد على أبو ريان ط دار النهضة العربية .
- دراسات في الفلسفة الإسلامية د/ عبد اللطيف محمد العبد ط /مكتبة النهضة .
- حقيقة إخوان الصفا وخلان الوفا د/ عارف تامر ط / بيروت.
- رسالة التوحيد فضيلة الشيخ محمد عبده ط/ دار المعارف.
- مقدمة رسائل إخوان الصفا د/ بطرس البستاني.
- من رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا د/ البير نصرى نادر ط المطبعة الكاثوليكية – بيروت .
- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام د/ على سامي النشار ط دار المعارف .
- معجم ألفاظ القرآن الكريم – ط – الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة.
- رسائل إخوان الصفا.
- في علم الكلام د/ أحمد صبحى ط – دار الكتب الجامعية.

References

1- The Holy Qur'an.

2-Ibn Sina in the Domain of the Brethren of Purity by Dr. Aref Tamrat, Beirut.

. 3-The Brethren of Purity by Dr. Jabour Abd al-Nour, Dar Al-Ma'arif

4-Dr. Jamil Salibat - Lebanese Encyclopedia, Beirut.

. 5-Dr. Abd al-Karim Khalifa

6-Akhbar al-'Ulama' bi Akhbar al-Hukama' by Al-Qifti, Al-Sa'adah Press, Cairo

7-The Brethren of Purity by Dr. Omar al-Dusuqi, Dar Nahdat Misr for Printing and Publishing, Cairo.

8-The Brethren of Purity by Dr. Mustafa Ghalib, Dar Maktabat al-Hilal, Beirut.

9-Figures in Arab Philosophy by Kamal al-Yaziji and Antoun Ghattas Karam, Beirut.

10-The Early Abbasids by Dr. Farouk Emrat, Beirut.

11-The Divine Aspect of Islamic Thought by Dr. Muhammad al-Bahi.

12-Esoteric Movements in the Islamic World by Dr. Muhammad Ahmad al-Khatib, Al-Aqsa Library, Amman.

13-Reconciliation Between Religion and Philosophy According to al-Farabi by Louis Gardet.

14-Islam in Confrontation with Ancient Philosophies by Anwar al-Jundi, Lebanese Book Press.

15- The Ismailis in the Qarmatian Period by Professor Sami Ayash, Beirut.-

16-Creed and Sharia in Islam by Goldziher, translated by Dr. Yusuf Musa and others, Dar Al-Kutub Al-Haditha, Cairo.

17-Political Philosophy of the Brethren of Purity by Dr. Muhammad Farid Hijab, The Egyptian General Book Authority.

18- Al-Fihrist by Ibn al-Nadim, Beirut.

19- Al-Imta’ wa al-Mu’anasah by Abu Hayyan al-Tawhidi.
20- Deliverance from Error by Imam al-Ghazali.
21-The Sects and Creeds by al-Shahrastani.
22-History of Intellectual Movements in Islam by Bandali Jawzi, Beirut.
23-History of Arab Thought Until the Time of Ibn Khaldun by Dr. Omar Farroukh, Beirut.
24-History of Islamic Philosophy by Dr. Majid Fakhry, translated by Dr. Kamal al-Yaziji, United House, Beirut.
25-History of Philosophical Thought in Islam, translated by Dr. Muhammad Ali Abu Rumman, Dar al-Nahda al-‘Arabiyya.
26-Studies in Islamic Philosophy by Dr. Abd al-Latif Muhammad al-Abd, Nahdat Library.
. 27- The Encyclopaedia of Islam
28-The Truth About the Brethren of Purity and the Loyal Friends by Dr. Aref Tamer, Beirut.
29-The Treatise on Monotheism by Sheikh Muhammad Abduh, Dar Al-Ma’arif.
30-Introduction to the Epistles of the Brethren of Purity by Dr. Butrus al-Bustani.
31-From the Epistles of the Brethren of Purity and the Loyal Friends by Dr. Albert Nasri Nader, Catholic Press, Beirut.
32-The Emergence of Philosophical Thought in Islam by Dr. Ali Sami al-Nashar, Dar Al-Ma’arif.
33-Dictionary of the Vocabulary of the Holy Qur’an, The Egyptian General Organization for Authorship and Publishing, Cairo.
34-The Epistles of the Brethren of Purity.
35-On Ilm al-Kalam by Dr. Ahmad Sobhi, University Book House.

فهرس الموضوعات